مذكرات أديبة فاشلة

زينب علي البحراني

obeikandl.com

الكتاب : مذكرات أديبة فاشلة
المؤلف : زينب علي البحراني
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١١
رقم الإيداع : ٢٠١١/١٦٥١
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 060 - 7

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net

الغلاف : الفنان كمال سلمان

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

obeikandl.com

مذكرات أديبة فاشلة

زينب علي البحراني

obeikandl.com

obeikandl.com

إهـداء

إلى الذين يُزعجهم نجاح الآخرين

obeikandl.com

obeikandl.com

شُكر

شُكر خاص وتحية بلا حدود

للفنان السوري المُبدع/ كمال سلمان..

www.kmal.8k.com

على تفضّله بإهدائي لوحة الغلاف.. راجيةً

له كلّ التوفيق والتفوق في مسيرته الفنية.

obeikandl.com

obeikandl.com

" أمَّا عن فشلي فحكاية أخرى. كل كتاب من كُتُبي تُطالعنه يُخفي خلفه عدَّة كتب أخرى فشلتُ في كتابتها، أنا أتقن الفشل، بمعنى أنني أعيشه وأتجاوزه، إنه لا يُخيفني. الفشل هو الوجه الآخر لعملة النجاح، لقد أخرجت إلى الناس حتى اليوم عشرين كتابًا.. والناس ترى هذه الكتب، لكنها لا تعرف شيئًا عن المذبحة الدائرة بين أوراقي، ولا تعرف شيئًا عن الكتب التي طالما فشلتُ في كتابتها أو ولدتْ مُجهضة. الفشل جزءٌ من رحلة النجاح والعمل، ومن لا يحاول لا يفشل. الفشل لا يخيفني.. ما يخيف حقًا هو أن يكفَّ المرء عن المُحاولة، وهذا ما لم أعشه بعد ".

الأديبة السوريّة غادة السمّان

" القوة والعنفوان والجمال والحضور والجاذبية؛ تلك العناوين التقليدية والبارزة للنجاح حرمتنا ونحن نلهث وراءها من الاستمتاع بلحظات الضعف والانكسار والفشل؛ تلك اللحظات التي نخجل منها حتى وإن كنا وحدنا في الصحراء أو في غرفة مغلقة.. ناسين أنها اللحظات الأكثر صدقًا...".

المُمثل السوري فراس إبراهيم

مُصطلحات وتعاريف*

"للذين يُضمرون نيَّة التَّحاذق ضد الكتاب مُذ لحظة قراءة عُنوانه"

§ الأدب :

رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، وجُملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي، وأدب الكاتب، والجميل من النظم والنثر، وكل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة وعلوم الأدب عند المُتقدمين تشمل: اللغة، والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض، والقافية والخط والإنشاء والمُحاضرات، (ج) آداب. وتُطلق الآداب حديثًا على الأدب بالمعنى الخاص، والتّاريخُ والجُغرافية، وعلوم اللسان والفلسفة والآداب العامة: العُرف المقرر المرضي، وأدب البحث والمُناظرة: قواعد تُبين وتُنظم كيفية المُناظرة وشرائطها.

§ الأديب :

وصفٌ من أدُبَ، والآخذ بمحاسن الأخلاق والحاذق بالأدب وفنونه.

---

* أحمد حسن الزيات/ إبراهيم مصطفى/ حامد عبد القادر/ محمد علي النجار: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار الدعوة، اسطنبول ١٩٨٩م.

obeikandl.com

§ فشِل فشلاً :

تراخى وجبُن، وفي التنزيل العزيز: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). يُقال دُعي إلى القتال ففشل، وفشل عن الأمر أي همَّ به ثُم نكَل عنه، فشل في عمله أي أخفق.

§ المُذكرة :

دفترُ صغير يُدوَّن به ما يُراد تذكره (ج) مُذكرات.

---

* **المصدر ذاته.**

obeikandl.com

obeikandl.com

لا أدري لماذا تنظرون إلى عنوان هذا الكتاب كمن يحدِّق في امرأة سيئة السمعة تسير سافرة في حي متزمت التدين!!.. نعم، وماذا في أن أكون فاشلة؟ الفشل حقٌ مشروع للجميع، وهو ليس جريمة يُعاقب عليها القانون، لذا فإن لي مطلق الأحقية كإنسانة أن أفشل كما يحلو لي، دون أن يسمح مخلوق لنفسه بالتطفل على حريتي الخاصة في الفشل، مادمت لا أعتدي بفشلي على حدود حريات الآخرين، وعلى رأسها حرياتكم. ثم إنني- صدقوني- لم أتعمَّد السقوط في بالوعة هذا الفشل، أنا لا أحاول التبرير أو اختلاق الأعذار، ولن ألقي باللوم على كاهل الحظ رغم إصراره على الإشاحة بوجهه عني ورفض صداقتي مهما قدمت لجلالته من قرابين يومية، كما لن أرجو منكم مُحاولة انتشالي من حضيض فشلي بأي نصيحة بعد أن غرقت بالفعل وفات أوان إنقاذي.. كل ما أريده هو أن أعترف على مسامع أبصاركم بأسرار فشلي العنيد بحذافيرها دون زيادة، كي أترك فيصل الحُكم في الختام لعدالتكم، أو على الأقل.. لوجهات أنظاركم، ومن يدري.. ربما ستكتشفون مع الكلمة الأخيرة من هذا الكتاب أنني لستُ فاشلة فحسب، وإنما لست أديبة حتى!.

زينب علي البحراني

obeikandl.com

قبل أن أُولد :

" إنَّ طريق الحياة وعرٌ وشاق
بدون مُساعدة الدين والفن والحُب"

ألبير كامو / مسرحية كاليجولا

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

يقول القاص البحريني جمال الخيَّاط: "الفشل يكون طبيعيًا لو صادف المرء مرَّة، اثنتين أو ثلاثًا، أما لو تواترت حياته على هذا المنوال المُخيِّب للآمال فإنه يوصم أيامه باللعنة".

وقد تواترت حياتي على هذا المنوال المُخيِّب للآمال بما يكفي للتأكد من مدى لؤم تلك اللعنة، هل تعرفون خط الأعداد؟ حيث لا حدَّ لنهاية الأعداد السالبة من أحد طرفيه، ولا حدَّ لنهاية الأعداد الموجبة من الطرف الآخر، بينما يتربع الصفر متفردًا على عرشه الأبدي في المنتصف؟ هذا الصفر المتورم الكريه، بوقاحة وجوده العنيد هو أكبر مشاكل حياتي على الإطلاق! ألهث دون انقطاع في رحلة ركضي المتواصل للفرار من خط الأعداد السالبة، وما أن أبلغ الصفر بما يشبه المعجزة، وأقف لحظة لالتقاط أنفاسي قبل أن أكمل طريقي للوصول إلى جهة الأعداد الموجبة، حتى أجد نفسي قد وقعت بين براثن جاذبية ذاك الصفر اللعين، ليهوي بي مجددًا في بالوعة الفشل!

متى ستنكسر سلسلة الفشل تلك؟ متى سيتخذ الحظ قراره بضمي إلى رعايا مملكته التي تعج بالسعداء من كُسالى وبُلهاء وحمقى ومُغفلين وخُبثاء وتافهين ؟!...

مازلتُ أنتظر.

(٢)

في ردٍّ من الأديب نجيب محفوظ رحمه الله على رسالة كتبها له الدكتور مصطفى سويف يسأله فيها عمَّا إذا كان لم يفكر من قبل بكتابة سيرة ذاتية صادقة وشاملة، قال:

"أمَّا فكرة السيرة الذاتية فهي تراودني من حين لآخر، أحيانًا تراودني كسيرة ذاتية روائية، ولكن الالتزام بالحقيقة مطلب خطير ومُغامرة جنونية وبخاصة أنني عايشت فترة انتقال طويلة تخلخلت فيها القيم وغلب عليها الزيف، وانقسم فيها كل فرد إلى اثنين، أحدهما اجتماعي تليفزيوني والآخر ينفث حياة في الظلام"[١].

ورغم اختلاف طبيعة حياة جيل الأديب المبدع (نجيب محفوظ) عن طبيعة حياة الجيل الذي أنتمي إليه على أكثر من صعيد، غير أن التاريخ يكاد يُعيد نفسه تمامًا أمام ما وصفه بعبارته السابقة. فجيلنا هو الآخر عاش ومازال يعيش فترات انتقال هائلة ومتسارعة الوتيرة، تخلخلت فيها المزيد من القيم وغلب عليها الزيف وانقسم كل فرد فيها إلى اثنين.. وربما أكثر، ولأنني – ككثيرين وكثيراتٍ سواي- مازلت لا أمتلك الشجاعة الكافية للاعتراف أمام جهل مُجتمعنا المريض بأكثر تفاصيل حياتي، حرصًا على سلامة ما تبقى من حياتي، فسأضطر للاكتفاء بقول ما أجرؤ على قوله، مما قد

يجبن غيري على الهمس به في أحيانٍ كثيرة، أو يتكاسلون عن إعلانه، قد لا يكون كتابي هذا عظيمًا، أو تُحفةً خالدةً من تُحف الأدب العالمي، لكنه سيبقى تجربةً أعتزُّ بها، لأنها سمحت لي بتجاوزها إلى تجارب أعمق وأكبر، ولا يسعني في البداية والنهاية غير أن أشكُركُم مثلما شكر الكاتب المصري الساخر "محمود السعدني" قراء الجزء الثاني من (مُذكرات الولد الشقي) التي كتبها، جزاء صبرهم "على قراءة حياة مخلوق هايف لم يخترع قنبلة ذرية ولم يكتشف جرثومة السرطان ولم يُحلّق بصاروخ في الفضاء الخارجي..".

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل الأول

"لقد بدأ خريف عُمري دون أن أحيا ربيعي، هكذا نحن، نعيش خلسة، نتعلم خلسة، نقرأ الكتب خلسة، نحب خلسة، ونكتب الشعر خلسة، ونموت خلسة".

غادة السمّان

رواية بيروت ٧٥

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣)

لكل منا على وجه الأرض قصة حياته، أو رواية حياته، غالبًا ما تكون تلك الروايات ثلاثية الأجزاء..

يبدأ كتابة الجزء الأول منها أشخاص آخرون، ثم يأتي جزءها الأوسط الذي نكتبه نحن، والمُشكلة هُنا أن هذا الجزء يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الجزء الذي سبقه، فإن كتبه أولئك بطريقةٍ حاذقةٍ مُتقنة سيغدو من السهل علينا إتمام دورنا في كتابة ما تبقَّى بطريقةٍ مُريحة، بنَّاءة، وبأدنى قدر من المشاكل، أمَّا إن كانت البداية رديئة، إما أن يليها نص أكثر رداءة، أو نجد أنفسنا دائرين في دوَّامةٍ من مُحاولات ترميم الفائت بنص نستميت لأجل جودة حياكته على حساب كل خلية من أرواحنا وأعصابنا، كي لا يتورط كُتَّاب الجزء الثالث – أبناؤنا – مثل تورطنا.

وأنا مازلتُ أحاول كتابة جُزئي الخاص من رواية حياتي، ومُشكلتي أنني أفتقر أحيانًا حتى إلى الأوراق والأقلام المُلائمة لكتابة مثل هذا النص الكبير! أفتقر إلى الزمن.. المال.. الحُرية.. والبيئة الثقافية والاجتماعية الصالحة لنمو حروف روايتي.

اقتناص فُرص النجاح في بيئة تبصق فيها الأمهات على صور الممثلات المرتسمات على شاشة التلفاز، وتُعتبر قراءة رواية

مضيعة للوقت، والدخول إلى قاعة السينما فسق مصيره إلى جهنم، والأنثى مخلوقة من الدرجة الثالثة أو الرابعة أحيانًا، هو أصعب من الصعوبة ذاتها. وأنا ولدتُ في تلك البيئة وعشتُ فيها، ولأنني ولدتُ في أسرة متوسطة تنهج نهج الأسر المحيطة بها في إفراط التزامها الديني وتشبثها بمفهوم: (ماذا يقول الناس عنا؟) حتّى وإن كان أولئك الناس أكثر جهلاً منا، فقد كان عليَّ أن أقاتل لانتزاع نصف نجاحي من بين أنياب أسد، ونصفه الثاني من أحشائه.

كانت العلاقة بيني وبين الثقافة والكتابة علاقة حب أكبر من أن تكون علاقة تعامل تجاري يحسب الفرق بين فرص الأرباح والخسائر، بكلمتين فقط (الكتابة حياتي)، مثلما كانت وستبقى على مر العصور الحياة الوحيدة لأكثر الأدباء والكُتَّاب بكل ما في كلمة (حياة) من معنى، حين يُحرم الإنسان كل حياته الواقعية المحسوسة ولا يبقى له إلا التنفس والضحك والرقص والعشق والموت والغوص والتسلق والتحليق على اتساع بياض الورق وحده.

هذا ما عبَّرت عنه الكاتبة الألمانية الرومانية الحائزة على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٩م (هيرتا مولير) حين قالت لأحد الصحفيين: "كان عليَّ تعلم الحياة عبر الكتابة، وليس الطريق الآخر، أردتُ العيش وفق المقاييس التي حلمتُ بها، ولم يكن الأمر بهذه البساطة. والكتابة بالنسبة لي كانت وسيلة للتعبير عما لا أستطيع عيشه فعليًا" [٢]..

حين قرأتُ كلماتها تلك شعرت أن لسانها يعبِّر عما يدور في ذهني تمامًا، ويحكي جزءًا من قصتي أنا الأخرى مع الكتابة، لأنني أنا الأخرى فقدتُ فلذات كبيرة من حياتي الواقعية كإنسانة شابة بالدرجة الأولى وأنثى عربية ثانيًا، ولم أجد لذاتي متنفسًا سوى بتنفس مخيلتي على الورق، لا أحد يستطيع أن يختار حقًا الارتباط بالشعر أو الكتابة، بل هما من يصطفيان الذي يشاءان كقدرٍ شبيه بالعشق المؤبَّد. ولذا فإن قصة الارتباط بهما إن لم تشبه قصة حب نقي صادق لا يعبأ بفداحة التضحيات، فلابد وأن يكون مصيرها الطلاق.. ربما لأتفه الأسباب، وأمام أهون ثمن.

كثيرون يتصورون أن الكتابة قضية سهلة، وأن كل من أتمَّ تعلُّم رص الحروف الهجائية إلى جوار بعضها لتكوين الكلمات؛ باستطاعته التحوُّل إلى كاتب مبدع وأديب لا يشق لقلمه غبار في ميدان الأدب بين يوم وليلة أو أقل.. وعدد من هؤلاء الكثيرين يتصورون أنني نلت فوق ما أستحقه في بلاط جلالة الكتابة قبل الأوان، في الوقت الذي أدرك فيه أنا وحدي؛ بعد الله تعالى؛ مدى ألم الاحتضارات الطويلة التي اجتزتها بصعوبة كي أولد بعدها أقوى مما سبق في كل مرة. لقد دفعت ثمن عشقي للكتابة باهظًا من راحتي ومعنوياتي وأعصابي ككل مجانين العاشقين، ومازلتُ أدفعه عن طيب نفس.

(٤)

بعض مشاعرنا تكون أكبر كثيرًا من أن تستوعبها محدودية حجم اللغة لتعبِّر عنها، ورغم أنني جربت ألوانًا متضاربة من المشاعر طوال ما مضى من حياتي وأتقنت التعبير عنها تحدثًا وكتابة، غير أنني مازلت حتى هذه اللحظة أعجز عن وصف ذاك الألم الكبير واليأس القاتم الذي دفعني لإغراق روحي في محيطات مملكة الأحلام الافتراضية بقراءة الأدب ومشاهدة الدراما التلفازية أو السينمائية المنقولة إلى التلفاز.

كنتُ كلما كبرت عامًا تشيخ مقدرتي على الحلم بمستقبل يُرضي تطلعات أيام طفولتي ومراهقتي، فأغرق في إدمان الأفلام والروايات أكثر فأكثر، كانت مشكلتي هي أنني أحلم أحلامًا أكبر من واقعي الخاص دون أن أجد من يساعدني على تحقيقها أو حتى يصدقها.

حين بلغت عامي الثالث عشر من العمر بدأتُ أشعر أننا نعيش حياة مختلفة عن حياة المخلوقات الآدمية السوية، كنتُ أشعر أن الناس من حولي – في بيئة مجتمعي الضيقة – بلا إحساس، لأنهم لا يشعرون بالفرق بين حياتهم الاجتماعية المريضة بكل ما فيها من استخفاف بالحرية الإنسانية المُعافاة، واستضعاف للنصف الأنثوي من المجتمع، وبين حياة المجتمعات الأخرى المحيطة بنا.

كثيرون جدًا سبقوني وواكبوا حديثي عن تلك القضية، وأدرك أن كل ما قيل ويقال مجرد كلام في كلام في كلام، لن يصل إلى نهاية تنتقل من إطار القول إلى فعل ملموس، يمد يده لتغيير الأوضاع بالعمل، لتنقذ حاضر الإناث ومستقبلهن بعد ضياع الماضي، وأنني مجرد وريثة أخرى للسيد (دون كيشوت) في بلاد العرب، أحارب طواحين الجهل والتخلف الاجتماعي بقلمي المكسور حتى تسحقني طاحونة القهر لأسقط مضرجة بهزيمتي، ولوجه الصدق فلا بد وأن أعترف بأن أغلب ما تعانيه المرأة من مشاكل في أي بيئة عربية غير ناضجة مُجتمعيًا بما فيه الكفاية، وعلى رأسها بيئة موطني الأم، يعود لمكرسات اجتماعية، أكثرها لا شأن له بتدخل سلطة القانون، هناك تخلف مجتمعي واضح سببه سيطرة نفوذ فئة من الشعب ترفض مختلف أوجه التطور الفعلي المتعلقة بالمرأة، لأن ذاك التطور يتعارض مع مصالحها الخاصة التي تعجز عن النمو في غير مستنقعات التخلف، وقد بلغ التخلف ببعض الآباء والأمهات في مُجتمع بيئتي الضيقة اعتبار كل كتاب يخرج عن إطار الحديث الديني أو القص الموجه للأطفال هو كتاب (للكبار فقط)، وتعريف (الكبار فقط) في الأوساط التي مازالت تحت خط التخلف الفكري من مجتمعنا هو (المتزوجون فقط).

وقبل أن نتحدث عن شؤون (الكبار فقط) في مُجتمعنا اسمحوا لي أن أحكي لكم نُكتة واقعية مُحزنة: مع الدورة الثانية من برنامج

اكتشاف وصناعة النجوم الشهير (ستار أكاديمي) سمعت عن أسرة تُحرِّم مُشاهدته على جميع بناتها ما عدا واحدة فقط، لماذا؟.. لأنها الوحيدة التي اقترب موعد زفافها! لهذا وضعوه قرب سريرها مائلاً بزاوية حادة لا تسمح لغيرها باستراق النظر إلى شاشته، لئلا تُشاهِد شقيقاتها اللواتي يتقاسمنها الحُجرة مشهدًا من البرنامج ذاته!.

عند هذه النقطة أذكر أنني وعدتُ نفسي بأن أكون صادقة مع ذاتي في كتابة هذه المذكرات العلنية، وأن أطلق العنان لجرأتي في قول ما لم أكُن أجرؤ على قوله في مواقف كثيرة، لئلا أرجم بألف تُهمة على رأسها التكبر، أريد أن أقول إن مُجتمعنا – على الرغم منه – مُتخلف إلى حدٍ كبير، وهو لا يُدرك مدى تخلفه؛ مثل مجنون لا يُدرك جنونه، ومثل مريضٍ بداءٍ خطرٍ لا يُدرك سُرعة تغلغل السم في عظامه مع مرور الأيام. والأسوأ أن مُجتمعنا يعيش وهمًا كبيرًا اسمه التقدم؛ رُغم أنه يتقهقر مُسرعًا إلى الوراء في تخلفٍ حضاري وسلوكي واضح، لأن الكائن البشري النمطي في هذا المُجتمع لا يتبع إلا نداءات غريزته التي يقلد فيها الآخرين بإمعية اتكالية ليُسيِّر شؤون معيشته دون تفكيرٍ أو تأمل أو تذوق للجمال المعنوي من حوله.

كُنتُ أقرأ مؤخَّرًا مقالاً للشاعر الراحل (نزار قباني) تحت عنوان: (الله والشعر)، فاستوقفني قوله:

"أكيد أن الإنسان وحده يملك نزعة تذوق الجميل والتعبير عن هذا الجميل، فالحيوان لا يهتم بالنجوم، ولا يعنى بروعة المغارب ولازوردها السائل، ولا يلتفت إلى الزهرة ولا يحملها إلى مسكنه ولا يتزين بها، وإذا اهتم بالزهرة فلكي يأكلها ويشرب عصيرها كما تفعل النحلة"[٣].

عندها لم أتمالك تساؤلي السري الساخر عن عدد أولئك الذين يستحقون اليوم مُسمى (إنسان) وفق هذا التعريف النزاري الشاعري أمام عدد المخلوقات المسجلة في صحيفة البشرية على خارطة وطننا العربي، رُغم أنها لا تربطها بالأزهار علاقة غير علاقة الدَّهس إن صادفتها؟!

من جانبٍ آخر؛ لا يسعنا إغفال دور التيارات الدينية المُتشددة –على اختلاف مذاهبها– التي تُتقن كنس رؤوس الجهلاء من الناس، وغسلها وشطفها كل يومٍ في استغلالٍ خبيثٍ لقصور ثقافة العامة وعجزهم عن التفكير الفردي وصولاً إلى حد الببغائية الفكرية والسلوكية واللفظية، يعيشون كأنهم نُسخٌ مطبوعة مُتماثلة تمام التماثل عن ختمٍ واحد..

وفي هذا يقول المُفكِّر الياباني (نوبوأكي نوتوهارا) في كتابه (العرب.. وجهة نظر يابانية):

"المجتمع العربي مشغول بفكرة النمط الواحد، على غرار الحاكم الواحد، والقيمة الواحدة والدين الواحد؛ وهكذا، ولذلك يحاول الناس أن يوحِّدوا أشكال ملابسهم وبيوتهم وآرائهم، وتحت هذه الظروف تذوب استقلالية الفرد، وخصوصيته واختلافه عن الآخرين، أعني يغيب مفهوم المواطن الفرد لتحل مكانه فكرة الجماعة المتشابهة المطيعة للنظام السائد".

ثم يورد مثالاً على تأثير بعض التيارت الدينية في نفسية الشخصية العاجزة عن التفكير العميق المُستقل بحكاية رجُلٍ عربي حكى عنه فقال:

"عرفتُ الدكتور علي حسن السمني مُعلِّمًا للغة العربية في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية، ثم زميلاً وصديقًا، كان دائمًا مسلمًا متدينًا مستقيمًا ينفّذ ما جاء في القرآن الكريم في طعامه وعلاقاته وحياته الخاصة والعامة، مرَّة ذهبنا معًا إلى كيوتو وزرنا معبد "توجي"، هذا المعبد مشهور جدًا في اليابان ويقصده زوار كثيرون من اليابان ومن الأجانب، وهو معبد قديم مشهور "بالباغودا" ذات الطبقات الخمس الجميلة للغاية، عندما رأى الدكتور السمني ذلك الجمال الأخاذ عبَّر عن إعجابه قائلاً: ما شاء الله! الله بنى هذا البناء، قلت له: يا دكتور! هذا البناء شيَّده أجدادنا اليابانيون، ولكنه نفى ذلك بشدة وقال لي بيقين قاطع: كل شيء جميل أو عظيم هو من خلق الله، وهكذا استسلمت وصمت!

أقام ذلك الصديق أكثر من عشر سنوات في اليابان، كان يستيقظ في البرد الشديد في الشتاء قبل الفجر ليؤدي الصلاة، وكان يصلي في أي مكان يدركه فيه موعد الصلاة، في مكتبه، في الحديقة، في القطار. باختصار كان مُسلمًا مستقيمًا يتقيَّد بتعاليم الإسلام كما يفهمها، يصوم ويصلي ويمتنع عن أكل ما حرمه دينه، كما أنه حج إلى بيت الله الحرام، لقد أعطانا نحن اليابانيين صورة واضحة ملموسة عن المسلم المتدين.

مرة كنت أقرأ رواية "بين القصرين" لنجيب محفوظ، وعندما رآني سألني: لماذا تقرأ روايات تافهة؟ لماذا لا تقرأ القرآن الكريم؟ كل شيء مهم للبشر موجود في القرآن. اقرأ القرآن لأن كل الكتب التي كتبها البشر تافهة، طبعًا استمعت إليه باحترام، فأنا أدين له بأشياء كثيرة كصديق طيب مستقيم ولكنني سألت وأسأل: إلى أين يؤدي التدين بالمسلم العادي أو غير العادي؟ المسلم الذي يمارس حياة التدين كل حياته إلى أين يصل؟..

لقد تابعت حياة ذلك الصديق –رحمه الله– أكثر من عشرين سنة وكان في مكانه لا يتقدم، لقد بقيت حياته وأفكاره ثابتة لا تتغيَّر ولا تتقدم.

هل هي صورة مسلم فرد؟ أم صورة عامة للمسلم المتدين؟" [٤]

ومن أكثر المقالات التي تُناقش مدى تسلط تلك التيارت الدينية جُرأة مقال للكاتب الإماراتي الدكتور/ سالم حميد، نشره على صفحات موقع (عرب تايمز) الإلكتروني، وجاء فيه قوله:

"لقد قام هذا التيار المتشدد باستحداث بدائل لأغلب احتياجات الناس، لدرجة حتى أفراح الزفاف استحدثوا لها أناشيد خاصة تُعرف بأناشيد الأفراح، وبات الناس يراجعون الدين من الناحية الشرعية لمزاولة أبسط أمور حياتهم اليومية والمعيشية، مع ترويج الكُره وعدم التسامح مع الديانات الأخرى أو حتى المذاهب الدينية الإسلامية الأخرى". ثُم يُكمل في مكانٍ آخر من المقال ذاته بقوله:

"وطالت لحى الرجال وقصرت كناديرهم حتى الركب واتشحت النساء بالسواد الأعظم من قمة الرأس إلى أخمص القدم، لدرجة يصعب التفريق ما بينهن وبين أكياس الزبالة السوداء! وتم تحريم أبسط الأمور الترفيهية، فالغناء حرام والموسيقى حرام والمسرح والسينما والثقافة حرام والفن حرام والأدب حرام والشعر حرام والكتاب غير الديني حرام، ونغمات الهاتف النقال حرام والإنترنت حرام على المرأة من دون مِحرم والمصافحة حرام والتصفير حرام والتصفيق حرام والقهوة حرام لأنها لم تكن معروفة في صدر الإسلام! وكل ما هو فرائحي أو ترفيهي حرام في حرام (حرَّم الله عيشتكم يا عيال الـ...)، وما شاء الله الفتاوى التكفيرية تنشر بالكيلو والأطنان في أتفه الأمور والأسباب، ومن يريد أن يرفّه عن نفسه فعليه بسماع الأدعية الدينية وخلاف ذلك فكل شيء حرام والعياذ بالله!"

وقد وجدت تلك التيارات (الجاهلية) المُتنكرة تحت قناع الالتزام الديني بيئة خصبة من الجهل الأسري، وانعدام الخبرة التربوية، وضحالة الوعي، لتحوِّل بيت كل شابة يصطفيها الإبداع في تلك البيئات المُتخلفة فكريًا ومُجتمعيًّا إلى سجون يحكمها القمع والتسلط والإرهاب بحجة ضرورة الانسياق وراء تيار القطيع البشري المُحيط الذي يرى في كل ثقافةٍ غير دينية فسقًا وانفلاتًا، ويُتقن حبس الأنثى وعضلها وبتر شرايين روحها بحُجة الخوف عليها، حتى يبدو وكأن آباء الجاهلية كانوا أكثر رأفة ببناتهم حين يرحمونهن بوأدهن بعد ميلادهن بقليل، بدلاً من انتظار مرحلة شبابهن لوأدهن بالتقسيط يومًا فيومًا، ولحظةً بعد لحظة، إلى أن تزهق أرواحهن همًا وغيظًا وتنطفئ حياتهن قهرًا وكمدًا. والجاهلية في عصرنا العربي لا تختلف كثيرًا عن جاهلية ما قبل البعثة النبوية الشريفة، والرجعيات الدينية والثقافية والفكرية والاجتماعية لا تشبع من التغذي على غيبوبة (هذا المُجتمع المسطول الذي يؤمن بالتواشيح وضوء القمر.. وأكل القضامة.. وقرقشة بذور البطيخ، والتمسك بالحصول على أربع زوجات، من سن الأربع عشرة وما تحت، عملاً بأصول الدين الحنيف، والتوقف عن إنجاز أي عمل بانتظار يوم القيامة)، على حد قول نزار قباني في حوار له مع الأستاذ (لامع الحر) لصالح مجلة الشراع[٥].

وهذا المُجتمع المُغيَّب وعيًا، والمُخدَّر فكريًّا، مازال يُكرِّر تاريخ الجاهلية في كل عصورها، راجمًا كل مُبشِّرٍ بفكرٍ تنويري لا يتفق مع أكداس الغبار والعفن المُتراكم في الجماجم الكسولة بتُهمة الزندقة الدينية والفكرية والاجتماعية.. وإذا قارنا بين عقول الناس في الجاهلية وبين عقولهم اليوم؛ لما وجدنا فرقًا كبيرًا في مسار حركتها الكسولة، فعامة الناس – في كل العصور – كانوا يرفضون الفكر النبوي التنويري دون أدنى مُحاولةٍ للتفكير أو التحليل، مُتشبِّثين بالقديم من أساطير الآباء والأجداد في جدالٍ عقيمٍ لنُصرة باطلٍ يتنكَّر في ثياب الحق.

وكان هذا التخلف المُجتمعي أول أسباب فشلي ككاتبة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل الثاني

"لم تستفزّني كلمة في حياتي أكثر من كلمة (عادي)!.
فالعادي ليس قبيحًا وليس جميلاً ، والعادي ليس حلوًا ولا مُرًّا ، والعادي ليس مُتواضعًا ولا مغرورًا ، وليس طيِّبًا ولا شريرًا .. العادي لا طعم له ولا مذاق ولا رائحة ، ماسخ ودلع كماء البحر المُعدْ للشرب ؛ مع أنه لا يصلح إلا للشطف.
كُنْ ما شئت ولا تكُنْ عاديًّا ؛ لأنَّ أحدًا لن يراك أو يشعر بك أو يُحبك"

المُمثل والمُنتج السوري/ فراس إبراهيم

obeikandl.com

obeikandl.com

(٥)

لم يُنقذني في تلك الفترة من الموت أو الجنون إلا علاقتي بالقراءة، الكُتُب أسرارٌ لذيذة، وحين يواجه الجهل تلك الأسرار العصيَّة على فهمه لا بدَّ وأن يُشعل نيران الحرب ضدَّها، لهذا لم يتلقَّ وجود الكِتاب ترحيبًا من أكثر أسر الكُتَّاب في بدايات شغفهم بالقراءة.

يُذكِّرني هذا بذكريات الكاتب البحريني (حسن مدن) في سيرته الذاتية "ترميم الذاكرة" حين كتب عن ماضٍ اجتاز مثل هذا الموقف:

"أمي كانت تقول لي: ستُصيبك هذه الكُتُب بالجنون، ستُجن، وأيًّا كان الأمر ففي بعض ما قالته شيء من الصحة، لأنني لم أتخلص بعد كل هذه السنوات من لوثة تلك الكُتُب، كان لأخي الأكبر مصدر قلق آخر من هذه الكُتُب، كان يُحس أن شيئًا ما خطرًا فيها سيؤدي إلى التهلكة، لذا فإنه كان بين الحين والآخر يقوم بما يُشبه حملات التفتيش في تلك الغُرفة حين لا أكون موجودًا، ويستخدم معارفه القليلة في التعرف على عناوين الكُتُب ليُقدِّر ما إذا كان حدسه صحيحًا أو لا، وفي بعض الحالات كان يستعين بأحد أبناء عمومتي للتعرف على مُحتوياتها، ليقوم بحرقها وإتلافها حفاظًا عليَّ وخوفًا. كان شديد التحذير لي من مغبَّة هذا الذي أفعله: (ستوديك هذه الكُتُب في داهية) .. هكذا كان يقول. " [٦]

لكن تلك اللذة الفكرية تولّد إدمانًا روحيًّا يجعل من التخلي عن القراءة قضية مُستحيلة، ومُجرد الحرمان منها تعذيب أبعد من مقدرة الروح على الاحتمال، لهذا كُنت – في ذاك الوقت – أحْبُك خُططي العسكرية الصغيرة لتهريب الكُتُب إلى حمَّام البيت وقراءتها هناك كي لا يصطدم الجهل بكتابٍ من كُتُب (جبران خليل جبران) أو (توفيق الحكيم) أو (طه حسين) في سوء فهمٍ لجُملةٍ أو كلمة، وتُحرم سِني عُمري الثلاثة عشر من لذتها الكُبرى اليتيمة، وكثيرًا ما كُنت أفتح صنبور حوض الاستحمام كي يتولى صوته عني مهمة الادعاء بأنني أستحم، وبهذا لا يكون طول الزمن الذي أقضيه في الحمام للقراءة مُثيرًا للشكوك، ومن ثمَّ التحقيق، وصولاً إلى حرماني من تلك اللذة الروحية التي ما كان بوسعي من دونها أن أعيش.

(٦)

وهكذا؛ كبرت بلا ذاكرة، ودون حياة؛ غير تلك التي عشتها بين صفحات كتب أنجَبَتها ذاكرة الآخرين، شعرتُ أنني بلا قيمة على وجه الأرض، مُجرَّد كائن مُستهلِك؛ محروم من نعمة المُشاركة في صُنع الحياة.

نعم تعلمت، لكن ما قيمة تلك الورقة الرسمية المطبوعة التي قالوا لي بإنها (شهادة) مادامت لا تفتح لطموحاتي أبواب المُستقبل؟! هل الحياة نوم ووجبات ثلاث وارتباط بيولوجي بذكرٍ تسلط عليه المجتمع طويلاً ثمَّ كافأ ذكورته الظاهرية بي لأكون منفضة لعُقدِهِ ورغبته الدفينة في التسلط؟ ما جدوى كل تلك الكتب التي أقرأها مادامت عاجزة عن تحويل أنوثتي من إعاقة إلى انطلاقة؟ معيشة غير صالحة للاستهلاك البشري الأنثوي. معيشة لا تليق بغير البهائم، مادامت لا تقوم على غير النوم والعلف وهواء الحظيرة الفاسد، وذكرٌ مجهول يدفعه إليَّ صاحب الحظيرة ويدفعني إليه شئت أم أبيت، لأنجب له مزيدًا من البهائم القابلة للتتفيه والتسمين. يخلق الله كل فرد منا ليكون حرًا في اتخاذ قراراته وأسلوب حياته، فكيف يُسمح لمخلوقات بشرية مازالت تخضع لفكر الهمجية بأن تفرض علينا كل خطأ تراه صوابًا؟!

الكتابة كانت مُلكي الأوحد غير القابل للسرقة، في وقت كانت فيه حياتي تُسرق يومًا بعد آخر، ولحظة وراء أختها. بها وحدها كان بوسعي استرداد دقائق حياتي الضائعة؛ على الورق.

تقول الأديبة أحلام مُستغانمي على صفحات (ذاكرة الجسد):
"نحن نكتُب لنستعيد ما أضعناه وما سُرق خلسة منا" [٧].

كُنتُ أبكي في تلك الأيام ساعاتٍ طويلة، قبل نومي وفي مُنتصف يقظتي، أثناء استحمامي وخلال تناولي الطعام. أعترف أنني تمنيتُ في حينها التخلص من حياتي أكثر من مرة، ولم يكُن لي رادعًا عن ذلك إلا الله وحده، وأعتقد أن الأمل الذي كان ينفحني إياه الدعاء ساعدني على تجاوز مرحلة الاكتئاب السري تلك إلى أن استجاب الله تعالى دُعائي أخيرًا. كُنتُ أدعو باستمرار لأكثر من عشرة أعوام، بعد صلاتي وأثناء صومي وقبل نومي وعند المزارات المُقدَّسة وحتى أمام مراقد الأولياء والصالحين، وأطلب من كل فقير ألقاه صُدفة أن يدعو لي، وفي أحيانٍ نادرة كُنت أطلب من الأطفال الصغار الدعاء لأجلي، غير أنني كنت أتجنب هذا الطلب من الأطفال في مُعظم الأحيان خشية أن يسارعوا إلى إخبار أمهاتهم وآبائهم بالأمر فأغدو عُرضة لمشاكل تُضيف إلى جحيمي النفسي جحيمًا أكثر اتساعًا، وتزداد مقدرة روحي على التنفس صعوبة.

حين بدأت ولوج عالم الشبكة العنكبوتية الإلكترونية (الإنترنت) غدت الحياة مُحتملة إلى حدٍّ ما في البداية، لكن بعد فترة غير طويلة اكتشفت أن هذا العالم الافتراضي المشحون بالأوهام لا يُمكنه أن يصنع حياةً حقيقية، ولا يستطيع أن يُحقق طموحًا للمحصورين في زوايا بيوتهم، وأقصى ما بوسعه هو أن يكون عاملاً مُساعدًا في تسيير شؤون حياة أولئك الذين يتنفسون الواقع الحي بكل تفاصيله.

obeikandl.com

(٧)

خلال تلك المرحلة بدأت التمرن على تقنيات الكتابة الإبداعية بجدية تتجاوز مُجرد مرحلة الشغف أو الموهبة الفطرية غير المُوجَّهة، وبدأت المُشاركة في عددٍ من المُسابقات القصصية التي ينطلق الإعلان عنها من خارج السعودية، ساعدني إدماني القراءة والكتابة صباح مساء على الغوص في همٍّ أكثر رقيًّا ومقدرةً على تخدير أوجاع ذاكرتي وواقعي، فضلاً عن أحلامي البنفسجية التي كانت تتوهم منذ الطفولة أن الكُتَّاب والمثقَّفين يتمتَّعون بحياةٍ حُرَّةٍ وشُهرةٍ إعلاميةٍ برَّاقة واحترامٍ هائلٍ يعصمهم من أذى رعاع الناس.

وتدحرجت في عشق الكتابة أكثر فأكثر، لكنني كُنت أصدم بين حينٍ وآخر بسماع أخبارٍ تستفز أقصى ما أعانيه من قهرٍ وحرمانٍ وتعاسة.. بدا وكأن ماسورة التفاهة قد كُسِرت فجأة لتُغرق عالم الأدب بأسخف الشخبطات المطبوعة تحت أسماء أنثوية سعودية تُفرقع في سماء المُجتمع، فتشق شُهرتها عنان تلك السماء بين عشية وضُحاها، دون أن تبدو لي الأسباب واضحة في ذلك الحين! بينما كُنتُ أنا مغمورةً في مغارتي المُظلمة دون أن يكتشفني أو يشعر بي مخلوق، فبلغت مرحلةً من اليأس والتعاسة دفعتني لمُحاولة كل ما هو منطقي وغير منطقي لأجل خاطر إرضاء طموحات حبي

للكتابة. ومثلما علَّم نزار قباني حبه لسيدته أسوأ عادات.. علَّمه أن يفتح فنجانه في الليلة آلاف المرَّات.. ويُجرِّب طبَّ العطَّارين ويطرق باب العرَّافات، فإن حبي للكتابة ساقني في حينها إلى ارتكاب أغرب المُغامرات واجتياز أعجب المواقف!.

أذكُر أن هذا الجنون دفعني مرة للاتصال على إحدى القنوات المتخصصة بتقديم خدمات الدجل والشعوذة طوال ساعات النهار وثُلثي ساعات الليل، بينما تُقدِّم برنامجًا مُتخصصًا بسماع ثرثرة من هبَّ ودبَّ من المتصلين الساهرين مُنذ مُنتصف الليل حتى الثالثة صباحًا، ولم يكُن أمام تورطي بيقظة سكان بيتنا مُعظم ساعات النهار والليل غير هذا البرنامج الذي يبث أثناء نومهم جميعًا. المهم؛ توكلت على رب العالمين واتصلت وتركت بياناتي عند المُجيب الآلي مع أملٍ شحيح بأن يتصلوا هم بي، لكن يبدو أن عدد مُشاهدي البرنامج أكثر شحًا بعد الساعة الثانية صباحًا، الأمر الذي دفع هيئة إعداد البرنامج إلى التورط بمُتصلةٍ مثلي، إذ بينما كُنت أسبح في بحر أوهامي وتخيلاتي وندب حظي أضاء رقمٌ أطول من المألوف وبأرقامٍ غير مألوفة شاشة هاتفي، فسارعت بالرد لأسمع صوتًا لبناني اللهجة يقول:

- مرحبا.. معكِ برنامج.....

أجبتُ بسُرعة تشوبها روح الاندهاش:

- أهلاً وسهلاً.

- شو بدك تحكي مع الست فاتن؟

- عن الطموحات.

- يعني شو؟

- عن الطموحات، والتطلعات، والرغبات في الحياة.

- طيب.. احكي، معكِ الست فاتن وهلا إنتي عالهوا.

وسُرعان ما استبدل الصوت الذكوري بصوتٍ أنثوي لامرأة في أواسط العُمر قائلاً:

- معنا اتصال.. ألووو.. صباح الخير.

انتهزت فُرصة ضآلة حجم جمهور ما بعد مُنتصف الليل لأجيب بدلع ساخر:

- صباح الخيرات والمسرات.

- مين معنا؟

أسقط في يدي وشعرت بالتورط إزاء جُبني عن الاعتراف باسمي الحقيقي في تلك الفترة، فأجبت بعد لحظة تلعثمٍ:

- إمممم.. ليلى.

قالت في نبرة دُعابة بعد ضحكةٍ قصيرةٍ مُفتعلة:

- ووينو عنك قيس يا ليلى.. لقيتيه ولا لسا؟

قلت بنبرةٍ جادة:

- أنا مشكلتي الكبيرة في طموحاتي.

- وشو هي طموحاتك؟

- طموحي إني أكون كاتبة عظيمة، ومشهورة في الوطن العربي.

- طيب وشو بيمنعك؟.. اكتبي.

اندفعتُ بحماسٍ جاد:

- شلون أكتب؟ أنا أحس بالإحباط، وحتى لو فكَّرت أنشر بيكون الموضوع صعب جدًا، ولو نشرت دائمًا يقولون إن مُعدلات القراءة في الوطن العربي قليلة جدًا، لذلك مبيعات الكُتُب قليلة، وهذا الأمر يحبطني إلى أقصى الحدود.

ونمَّت لحظات الصمت الذاهلة من الطرف الآخر عن دهشةٍ مُربكة، إذ يبدو أن تلك السيدة السمينة، التي تجاوزت مرحلة أواسط العمر بقليل، وتمَّ حشرها في برنامج ضئيل الجماهيرية بالواسطة، واعتادت على سماع مشاكل الانفصالات العاطفية والزواجية والرغبة في ارتباطات أخرى زواجية وعاطفية؛ قد بهتت أمام هذه الحالة الاستثنائية لفتاةٍ تبدو نصف مجنونة!، لكنها سُرعان ما تداركت الأمر وقالت:

- ما في مَشكل، اكتبي وابعتي لنا شو كتبتي ونحنا بنقرا كتاباتك ع الهوا. هلا الكونترول بيسجلوا بياناتك لحتى نتواصل معك.

لم يُسجّل" الكونترول" شيئًا ولم يُفكِّر بالتواصل مع أمثالي، وهو ما توقعته بالفعل.

اليوم أشكر الله تعالى وأضحك على مما مضى بالأمس، يوم كُنتُ أحتضر ببطء وأنزف بُكاءً لم تجففه إلا الرحمة الإلهية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل الثالث

"...غيبوبة الانتظار هذه، أو كابوس الانتظار بالأصح، أنساه أن الأبناء إذا ولدوا فلن يكتفوا بشهادات الميلاد ، أو وثائق الهوية كي يحيوا ، كما أنّهم ليسوا دُمى بين أيدي الآباء تكفي هدهدتهم أو التلويح بأبدانهم في الهواء ، كي يُعترف بهم أعضاء في محفل الجماعة البشرية، ولكنهم قنابل موقوتة قابلة للانفجار وتعريض حياة المُجتمع لأكبر الأخطار إذا أسيء استخدامها ، أو اقتُرفت أبسط الأخطاء في التعامل معها. فماذا فعل هو لتجنيب نفسه، وكذلك مُجتمعه، تبعات هذا الخطر؟"

إبراهيم الكوني

رواية: من أنت أيها الملاك؟

obeikandl.com

obeikandl.com

(٨)

التخطيط لمواهب الأبناء في وطننا العربي استثناء، والإهمال غالب، والقاعدة مُحاربة الموهبة. الأسرة – في الوطن العربي خصوصًا – تواجه الموهبة بالإهمال أو اللامُبالاة أثناء فترة الطفولة، ثم تنمو تلك اللامُبالاة لتستحيل مُحاولات أشرسُ مقدرة على مُحاصرة تلك الموهبة بشتى الوسائل في سبيل القبض عليها واعتقالها، ومن ثم اغتيالها أثناء فترة المُراهقة وبدايات الشباب.

قبل أسابيع قليلة كنت أقرأ وجهة نظر المفكر الياباني نوبوأكي نوتوهارا في كتابه القيِّم: (العرب.. وجهة نظر يابانية) أثناء مقارنته بين ظاهرة إجهاض المواهب في الوطن العربي ومحاولات رعايتها كي تولد بسلام في اليابان.. اقرأوا معي ما قاله على صفحات كتابه بهذا الشأن:

"كان في السادسة من عمره عندما قابلته أول مرة؛ طفل هادئ وصامت، يشع من عينيه ذكاء خاص وشرود يشبه شرود التأمل، كان دائمًا يراقبني بهدوء ويتحدث معي بالطريقة نفسها، كل شيء في ذلك الطفل كان يوحي بأنه سيصبح كاتبًا أو شاعرًا لو كان طفلاً في اليابان، بعد عشر سنوات رمى جاسم موهبته كلها وأصبح راعيًا نموذجيًا كما يتوقع منه المجتمع. لقد قابلت فتيات وفتيانًا صغارًا

موهوبين ولكنهم انتهوا إلى أفراد عاديين، لأنهم لم يجدوا أي نوع من الرعاية، لأن المجتمع يحتاج إلى قدرة واحدة تناسبه كراع، المجتمع العربي عامة ليس عنده استعداد ليُربي المواهب ويقويها. الأمر مختلف عندنا في اليابان لأننا نعتبر الموهبة الفردية قدرة تحقق نجاحًا في حياتنا، ولذلك يراقب الوالدان الطفل ويدققان في قدراته في الموسيقى والعلم والرياضة. هذه ظاهرة اجتماعية عامة في اليابان، كل والدين يراقبان يبحثان، بعدئذ يقدمان كل إمكانياتهما لدعم موهبة الطفل".

وحالتي لم تكُن استثناءً عن تلك القاعدة، لتكون تلك القضية جُزءًا من فشلي الكبير.

obeikandl.com

(٩)

الجهلُ هو الأساس، فـ(الناس أعداء ما جهلوا)، ومن المؤسف أن مكافحة الأسرة لمواهب الطفل والناشئ يتم –في الغالب– عن حُسن نية أبوية، إذ يتصور الآباء والأمهات أنهم بهذا ينقذون مستقبله مما يظنونه انجرافًا نحو هاوية الضياع، دون أن يفطنوا إلى أنهم بسلوكهم هذا يدفعون به دفعًا إلى هاوية الضياع بمعاندتهم الموهبة التي فطره الله عليها وخلقه للعمل بها، وهي نتيجة حتمية لقصور الثقافة التربوية لدى الأبوين، الأمر الذي يقع ذنبه على عاتق البيئة الاجتماعية المُحيطة وأثرها على تكوين تلك الأسرة منذ لحظة اتحاد الطرفين الأولين فيها أولاً، ثم نتيجة لنموذجين من نماذج الأنانية ثانيًا.. أحدهما نموذج رغبة الآباء في أن يقتصر نمو الأبناء الجسدي والوجداني والمستقبلي على تخطيطهم وتحت سيطرتهم وتسلطهم الذي قد يبلغ حدود التطفل أحيانًا، وهو ما وصفته شخصية الدكتور رفعت إسماعيل الشهيرة في روايات ما وراء الطبيعة للدكتور أحمد خالد توفيق بقولها :

"الرغبة في الشعور بالأهمية.. ذلك الشعور اللذيذ بأن الحياة ستفسد والشُّهب ستهوي لتحرق المدن الآمنة لو لم نكُن موجودين، عرفت مديرين يتغيَّبون عن العمل لبضعة أيام، ثم يستشيطون غيظًا عندما

يكتشفون أن كل شيء كان يسير بدقة الساعة في غيابهم، هذا يثير جنونهم، كذلك الآباء.. معظم الأمهات يشعُرن بضيق خفي لو سافرن وعدن فوجدن أن أبناءهن بخير، هن لا يقُلن هذا صراحة، لكنك ترى لمسة خيبة أمل على وجوههن". [٨]

وهكذا فإن مقدرة الابن على تحقيق إنجاز كامل مُنفرد دون أن يكون للآباء يدًا واضحة فيه، تُرجع المعروف كاملاً في صناعة كل حياة أبنائهم إليهم، يمس أمانهم النفسي ويخدش شعورهم المطلق بالتملك.

وثانيهما نموذج أنانية الرغبة في أن يحمل الأبناء عبء تحقيق طموحات الآباء التي تسبب الأهل والظروف من قبل في حرمانهم منها بدلاً من السعي لبناء طموحاتهم الخاصة على أرض الواقع. فالأب الذي التهمت عوامل الاستلاب الأسري والاجتماعي والمادي فرص أيام شبابه في تذوق لذات النجاح، يظن أن ابنه الطفل أو الشاب هو الحل الوحيد لمحو فشله كعضو في المجتمع بتحقيق النجاح الذي عجز هو عن تحقيقه فيما مضى، أما الأم فهي كامرأة أجبرتها الأسرة والمجتمع على خسارة كل طعم حياتها وحريتها وتفرد شخصيتها ورأيها الخاص – لا سيما بعد أن صارت زوجة – لم يبقَ لها إلا الابنة أو الابن لتسقط عليهما أمانيها ورغباتها ومشاعر تملكها غير السوية.

وقد صوَّر لنا الكاتب المسرحي المُبدع لينين الرملي هذا التنافس الأناني بين كل من الأب والأم على تملك حاضر الابن ومستقبله في هذا المشهد من مسرحيته العظيمة (أنت حُر) :

- الأم (عزيزة): إنت ما لكش فيه حاجة.. ما لكش فيه ولا حتّة، مش حتطول منه ضُفر ولا صباع، دا كله بتاعي أنا، دا هو كان حياتي ودُنيتي.. دا أنا عايشه عشانه (تبكي وترتجف).
- الأب (عبده): لا.. حرام عليكي، ادِيني حته، دا أنا ما حققتش حاجة، هو اللي حيمسح فشلي، أنا عُمري ما كنت حُر في حاجة، هو الشيء الوحيد اللي بحس إني حُر أتصرف فيه (يبكي). [٩]

ومن المؤلم أن تفهُّم المُبدع لأمراض المُجتمع من حوله يجعله غير قادرٍ على صب جام لومه فوق طرفٍ من الأطراف المُحيطة به، لأنه يعلم أن الطرف المُذنب يبقى ضحيةً من ضحايا الجهل والتخلف المُزمن في صدر هذا المُجتمع. وصدق الروائي الليبي إبراهيم الكوني حين قال:

"في حالينا الجاني ما هو إلا مجني عليه، كما أن المجني عليه ما هو إلا جانٍ أيضًا، لأن كلينا في البلية، ضحية!" [١٠]

obeikandl.com

الفشل الرابع

"لا يُمكن لكُم أن تتصوَّروا مقدار الخِدَع والمُراوغات والحِيَل والأكاذيب التي كان عليَّ أن أُمارسها خلال سنوات دراستي، لكي أتمكَّن من أن أصير كاتبًا .. لكي أستطيع مواصلة طريقي، لأنهُم كانوا يُريدون أن يدفعوني بالقوّة إلى اتّجاهٍ آخر"

غابرييل ماركيز

نزوة القص المُباركة

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٠)

أعترف أنني ارتكبت أحد أفدح أخطاء حياتي يوم انسقت للرغبات المُجتمعية واخترت الفرع العلمي في المدرسة الثانوية. كُنتُ أصغر كثيرًا من أن أمتلك ذاك الجنون القادر على جعلي حُرة، وضاعفتُ حماقتي حين سمحتُ للظروف بأن تسوقني إلى تخصص علمي في الجامعة، لأن الارتباط المؤبد بتخصص يقود الإنسان إلى مهنة لا تتفق مع ميوله النفسية التي فطره خالقه عليها؛ هو فعل انتحارٍ معنوي يمتص الروح بالتقسيط. ثم إن الفن والأدب يرفضان العيش مع الشركاء المُنافسين والضرائر، لا سيما في عصرنا الحاضر الذي يتطلب النجاح فيه تفرغًا كاملاً وتركيزًا عميقًا على هدفٍ واحد، والتخصص في فرع من فروع العلوم الطبية أو الصحية لذوي الميول الأدبية والفنية هو الجحيم بعينه، لأن مناهج الطب التي صممت لـ"علاج المرضى وقتل الأطباء" كما يقول الروائي المصري أحمد العايدي في روايته (أن تكون عباس العبد)، لا ترحم. وأكثر أساتذتها يفتقرون إلى الأحاسيس والمشاعر، وبعضُهم سُرعان ما يجد في ذاك الشرود الشاعري الذي ينتاب طالبًا ابتلي بتلك الميول علامة على مُشكلةٍ نفسية أو مُقدمة لمرضٍ عصبي!.

وكثيرًا ما كُنتُ أعتصر الوقت اعتصارًا، وأبتكر الحيل ابتكارًا كي أحظى بفُرصة قراءة قصةٍ أو رواية بين بيئةٍ أسرية وجامعيةٍ ترى في مُطالعة مثل تلك الكُتب لهوٌ وعبثٌ يُهدر الوقت ويُبذر طاقة الذهن، وأن الإمساك بأي كتابٍ عدا عن كُتُب الدراسة الجامدة السمينة ليس إلا هُراء سخيف!.

أما الحياة الوظيفية في مهنةٍ لا تمت للميول بصلةٍ فمشاكلها كثيرةٌ عويصة، أخطرها خضوع المُبدع – الذي يمتاز بنفسيةٍ حساسة– لسيطرة رئيس عملٍ فقيرٍ في وعيه، ويقل عنه كثيرًا في الذكاء والجُهد والموهبة، وإجباره على الاحتكاك اليومي اللصيق بزُملاء قد يكونون من الحاقدين أو ممن يتلذذون بإثارة المشاكل والتطفل على خصوصياته، فضلاً عن أن تلك الوظيفة تمتص الكثير من وقته وجُهده وأعصابه وصحته وطاقته الروحية والجسدية فيما لا تهواه نفسه، لكن ظروف المُبدعين في وطننا العربي تُجبرهم على العمل في وظيفةٍ يومية أو مهنةٍ رائجة السوق كي يكون لهم مورد مادي يعولون به موهبتهم مع من يعولوا، فالشاعر والقاص والروائي يعملون لإنفاق ما يكسبونه على طباعة الكُتُب، والرسام يعمل ليجمع ثمن الألوان ولوحات الرسم، والمسرحي يعمل لتمويل مسرحياته.. وهكذا.

وفي هذا يقول الناقد البحريني (فهد حسين) متحدثًا عن إحباطات الكاتب المادية في كتابه (أمام القنديل) :

"إن الكاتب في عالمنا العربي يعاني الكثير من الإحباطات المادية والمعنوية، إذ لا يستطيع الكاتب العربي، من خلال إمكاناته المادية والمالية، من مواصلة الطباعة والنشر، في الوقت الذي لا توجد مؤسسات أهلية أو حكومية تحتضن الكُتَّاب وتتبنى مشروعاتهم إلا ما نَدُرَ وبالشكل العسير أيضًا، كما أن الصحافة العربية لم تعر الكاتب ذلك الاهتمام إلا من خلال المعارف والعلاقات الاجتماعية والصداقات، لذلك ترى معظم الصحف تبحث عن الكاتب طالبة منه الكتابة معها، وتتهرب منه حينما يأتي وقت دفع المستحقات المالية، علمًا بأن كُتَّابنا في عالمنا العربي قلمًا تجد واحدًا منهم يملك الثروة والمال الوفير الذي يساعد على ظروف الحياة والنتاج"..

ثم يقول الكاتب في مكان آخر من الكتاب ذاته:

"على الرغم من تفرغ بعض الكُتَّاب في عالمنا العربي، سواء أكان برغبة الابتعاد عن الوظيفة الروتينية أم من قِبَل المؤسسات الرسمية بعد إلحاح متواصل من قبل الكاتب نفسه، فإن إحباطات الكاتب العربي ماديًا ومعنويًا تظل عالقة في أذهان الكُتَّاب والمثقَّفين طالما لا توجد حلول جذرية لهم" (١١)

أما الروائي نجيب محفوظ فيعترف في حوارٍ أجراه الصحفي الناقد رجاء النقاش أنه تعب في "الوظيفة" وتعب منها، ولكنه ـ كعادته ـ عندما تواجهه المصاعب فإنه كان يُحاول تطويع الوظيفة ليستفيد منها، وفي هذا المعنى يقول:

"أعطتني حياتي الوظيفية مادة إنسانية عظيمة، وأمدَّتني بنماذج بشرية لها أكثر من أثر في كتاباتي، ولكن الوظيفة نفسها كنظام حياة وطريقةٍ لكسب الرزق لها أثرٌ ضارٌ على الأدب، أو يبدو الأمر كذلك لي، فقد ابتلعت الوظيفة نصف يومي لمدة سبع وثلاثين سنة، وفي هذا ظلمٌ كبير، ولكن الوظيفة في الوقت نفسه علمتني النظام والحرص على أن أستغل بقية يومي في القراءة والكتابة، بل جعلتني هذه الوظيفة أستغل كل دقيقةٍ في حياتي بطريقةٍ مُنظمة، وعدم تجاهل أوقات الراحة والترفيه، وهذا في تصوري هو أثر إيجابي للوظيفة في ظل المُجتمع الذي نعيش فيه، فمن المُستحيل أن يتفرغ الأديب في بلادنا لعمله الأدبي وحده، ولو كانت أوضاعنا مثلما هو الحال في أوروبا، وصدر لي كتاب مُتميِّز لتغيَّرت حياتي، وكُنتُ استقلت من الوظيفة وتفرَّغت للعمل الأدبي، لأن الكتاب المُتميز هُناك يُحقق إيرادًا يكفي لاتخاذ مثل هذه الخطوة" (١٢)

عني أنا، كثيرًا ما شعرت بإحباطٍ كبيرٍ كلما ابتلعتني تلك الدوامة أكثر، ويبدو لي أحيانًا أن كل مُحاولاتي للهرب إلى حياتي الأجمل بين الحروف التي تنسجها مُخيلتي على الورق، أرتد بكل إرهاق الواقع إلى ما يُشبه اليأس والشعور بالهزيمة لهذا السبب، ولولا أن إطلاعي على تاريخ مُعاناة الأدباء والفنانين، ورفضهم الاستسلام رُغم أحزانهم اليومية، لكُنتُ انتهيت مُنذ زمن.. وكثيرًا ما ذكَّرت نفسي بحكاية رجاء النقاش يوم كان يشكو لنجيب محفوظ ضغط

العمل الصحفي وابتلاعه للوقت والعُمر، فنصحه نجيب بألا يستسلم لظروف الحياة مهما تكُن صعبة، ثُم قال له: "اسمع، أنا صنعتُ نفسي وأدبي كُله من (نُشارة) الحياة"!

وفي هذا يقول النقاش:

"هزتني كلمة (نُشارة الحياة) هذه، وعلمتني ألا أشكو، وأن أحاول الانتفاع بكل دقيقةٍ مُتاحةٍ أستطيع فيها أن اعمل وأنتج، فالشكوى لا جدوى منها ولا فائدة" (١٢)

حقًا، لا جدوى من الشكوى، ومما يبعث العزاء في النفس أحيانًا؛ أن العمل في مهنةٍ بعيدةٍ عن الهواية أو الحرفة الإبداعية هو صمام الأمان الوحيد لصاحب تلك الحرفة حين تدفعه ظروفه النفسية لاتخاذ قرارٍ باترٍ بالاعتزال عنها وعن أوساطها إلى الأبد، لأنها تكفل له فرصة عدم الحاجة للاحتكاك بأشخاص أو مواقف تُذكِّره بالأسباب التي دفعته لاتخاذ ذاك القرار.

obeikandl.com

الفشل الخامس

"عندما أعكُف على كتابة رواية، أتخندق في عالمي ولا أشارك أحدًا في أي شيء. أكون في حالةٍ من الغطرسة، والتسلط، والزهو المُطلق. لماذا؟.. لأنني أعتقد بأنها الطريقة الوحيدة المُتوفرة لدي لحماية الجنين، ولضمان تطوره مثلما حبلتُ به".

غابرييل ماركيز

نزوة القص المُباركة

obeikandl.com

obeikandl.com

(١١)

ينقلب التوقيت رأسًا على عقب، يدخل الليل في صُلب النهار، وتمتزج الساعات بالثواني، وأتحوَّل إلى سُلحُفاةٍ لا مفرَّ لها من التقوقع في بطن صدفتها لئلا يُسيء العالم المُحيط بها فهم غرابة أطوارها المُفاجئة.

يحدُث هذا حين أنغمس في كتابة عملٍ أدبي جاد بكل حواسي وأحاسيسي، فأنسى نفسي، وأنسى معها أن آكُل، وأن أشرب، وأن أستحم، وأن أمسح الغُبار من حولي، وأن أخرج من حُجرتي للتحدث مع أفراد أسرتي، ولا أتذكر أن هُناك عالمًا آخر يتنفس خارج حدود الحجرة التي أنكب فيها على أوراقي إلا حين ينتفض هاتفي المحمول فجأة، أو يطرق أحد أفراد أسرتي الباب كي يتأكد من بقائي على قيد الحياة، حينها أجد صوتي ينفلت من حنجرتي كقادمٍ من عالم الأشباح، وأشعُر بإعياءٍ روحي وجسدي لا يوصف أثناء مُحاولاتي للتواصل مع العالم الخارجي في تلك الأوقات، لأنني أكون هشة، شفافة، ضعيفة بمشاعري العارية في وجه عالمٍ لا يسعها التكيف معه دون أن تكون مُصفَّحة بما فيه الكفاية لاحتماله، وتتقمصني شخصية بطل أو بطلة النص القصصي أو الروائي بنسبة تسع وتسعين بالمائة، فيبكي بعيني، ويضحك من حنجرتي، ويتنفس برئتي، ويُعبِّر عن إحباطاته وبهجته وحُبه وجنونه بي أنا.

كل هذا يجعلني أبدو في مظهرٍ غير مفهوم للناس الذين لم يخوضوا تلك التجربة اللذيذة المؤلمة في الوقت ذاته، لا سيما أولئك الذين لا يعرفونني جيدًا، فأنَّهم بالإهمال، أو الغرور، أو الانعزالية، أو عدم تحمل المسؤولية، أو غرابة الأطوار إلى حد المرض، خصوصًا وأن عدد الكُتَّاب المُخلصين الذين يخوضون تجربة الكتابة بكل أحاسيسهم ووقتهم وحواسهم؛ أقل كثيرًا ممن لا تتعدى حروفهم عناء حركة الأصابع.

وتلك الهوة الهائلة بين عالم الكاتب السري، وبين نظرة عامة الناس له وتصنيفهم إياه وفق مقاييسهم النمطية والمُكررة، هي السبب في سوء الفهم الجماعي، والذي قد يبلغ حد الإيذاء اللفظي في أحيانٍ كثيرة، للكاتب الأديب.. وإلى هذا يُشير الناقد (أنور الخطيب) في نص له على صفحات جريدة الإتحاد الإماراتية بقوله:

"أرى أن قطاعات كبيرة من القراء المُحترفين والعاديين يجهلون عوالم الكُتَّاب الداخلية، ويجهلون أزماتهم وأمزجتهم وتركيباتهم النفسية، ولذلك يُحاسبونهم كما يُحاسبون أي إنسان عادي وفق نفس المعايير ويُصدرون أحكامًا جائرةً في حقهم.

إن بصمة المُبدع هي جودة نتاجه كما هي في حياته، لكن ما يظهر للناس هو ما يُقدِّمه لهم، وبالتالي ترسم صور مثالية كثيرة...

نحن بحاجة إلى فهم أوسع لطبيعة المُبدع".

من جهةٍ أخرى؛ فإن نفسية الأديب المُرهفة بطبيعتها، والتي تمتاز بخصائص إنسانية مُختلفة غير قابلة للتفسير وغير قابلة للتدجين، وغير قابلة للانسياق مع هامشية النمط العام وسطحيته وازدواجيته الفكرية والسلوكية، تجعل من تكيّفه مع المُجتمع الخاضع لتلك النمطية – بكل ما فيها من أخطاء – قضية شبه مُستحيلة، وتفاهمه مع هذا المُجتمع، دون اضطرارٍ للنفاق أو الإسراف في المُجاملة، والتورية، وتزييف الكثير من الحقائق، أمرٌ شديد الصعوبة، وهو ما يُذكرني بحديث الكاتبة (نوال السعداوي) على صفحات روايتها (امرأتان في امرأة) حين قالت:

"التفاهُم مع الناس مُستحيل يا بهية، الناس لا يُريدون إنسانًا حقيقيًّا، تعودوا تزييف كُل شيء حتى أنفُسهُم، وبمرور الزمن نسوا شكل أنفُسهُم الحقيقية، وحين يرون إنسانًا حقيقيًّا تُفسدهم حقيقته إلى حد الشروع في قتله أو قتله فعلاً. ولذلك فلا بُدَّ لهذا الإنسان أن يكون مُطاردًا دائمًا، أو مقتولاً أو محكومًا عليه أو مسجونًا أو معزولاً في مكان بعيد عن الناس".

لهذا نُلاحظ انصياع الكثير من المُبدعين لخيار العُزلة وقاية لأنفسهم وإبداعهم من أذى الجهلاء وغير المُتفهمين من عامة الناس، إلى جانب أذى الواهمين من المُتطفلين على الأوساط الإبداعية بثرثرتهم دون أحاسيسهم.

لكن العزلة هي الأخرى تغدو خيارًا شبه مُستحيل أمام الظروف الأسرية أو المادية لمُبدعين آخرين، الأمر الذي قد يُجبر المُبدع على التخلي عن علاقته بالكتابة أو الفن، إما كي يعيش بسلام، أو ليضع حدًا خاتمًا لخيباته المعنوية وإحباطاته الروحية الكبيرة، بإحباطٍ أخيرٍ واحد يتسيَّد موقفه من الارتباط بموهبته، وارتباط اسمه بها.

obeikandl.com

الفشل السادس

يا للفشَل! .. لقد وُلدتُ أنثى!

"عندما نولد إناثًا ، فنحنُ نولدُ قضايا ،

لأنَّ العالم مزوَّد بتقنيات جاهزة للحدِّ منا"

الكاتبة الكويتية/ بُثينة العيسى

رواية (عروس المطر)

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٢)

بعض المُتثاقفين من الذكور في البلاد العربية لا يُحسنون إزاء الأقلام الأنثوية التي اختارت السير في درب الرسم بالكلمات غير الإفتاء والتنظير؛ يجب أن تفعل ويجب ألا تفعل.. يجب أن تتحجب لأن الحجاب فريضة على كل مُسلمة، وينبغي ألا تتحجب لأن الحجاب مُضاد للفكر المُستنير!.. يجب أن تقرأ أعمال (ألبير كامو) لأنه صاحب رؤيةٍ أدبيةٍ مُبتكرة، ولا بد أن تتجنب الإطلاع على أعماله لأنه ذو فكرٍ فاسد مُنحل.. يجب أن تكون شُجاعةً في إطلالاتها الإعلامية، وعليها في الوقت ذاته أن تتجنب الصحافة والتلفاز والإذاعة كي لا تُرجم بتُهمة الانفلات!.. ثُم يُطلقون الأحكام الباترة إزاء ما تكتبه بأقلامٍ مسنونةٍ وألسنةٍ أشبه بقاذفات القنابل، دون التفاتٍ إلى مُعاناتها التي تحرم روحها وقلمها من النمو والنضج والتحليق.

الكاتبة المثقفة في مُجتمعنا أيها السادة مازالت تُعامل كطفلةٍ قاصرةٍ تُحاصر بالمنع والحبس والتجسس والاستجواب عن كل خطوةٍ تخطوها مهما صغُرت، كل من هبَّ ودبَّ من ذكور المُجتمع يتبرع بوصايةٍ ديكتاتوريةٍ عليها بحُجَّة أنه في مقام والدها، أو كشقيقها، أو في منزلة عمها، أو صديق ابن عمة خال جدة زوجة ابن تاسع جار من جيرانها، حتى وإن كان هذا المُتبرع بتطفله لا يُحسن تهجي حروف اسمه، ولا يعرف الفرق بين يده اليُمنى ويده اليُسرى!.

باختصار؛ إن تلك المرأة لا تمتلك أكثر من مُعطيات جُثة ثقافة، حلم ثقافة، خيال ثقافة، سرابُ ثقافة. لذة روحية تُرى عن بُعدٍ ولا تُمس، إنها – من وجهة نظري – محض هُراء، عبثٌ لا يستحق اسمه الكبير، إنها ذاك المسخ الذي تساءلت عنه بطلة الكاتبة بُثينة العيسى في روايتها (عروس المطر) حين قالت بشجاعة:
"أي ثقافة؟ أي دجَل؟ ثقافة ميتة، لا تمنحني أفقًا ولا سعة نظر ولا حتى عدسات لاصقة، إنها ببساطة لا تمنحني أي شيء".

تستفز سُخريتي الداخلية سذاجة من يتصورون أن مُجرد امتلاك الكاتبة ورقة وقلمًا وخط اتصالٍ بالشبكة العنكبوتية الإلكترونية كافيًا لترشيحها على قائمة جائزة نوبل للآداب، جاهلين أن النضج الثقافي والأدبي يتطلب قدرًا كبيرًا من إيمان أسرة تلك الكاتبة ومُجتمعها ببلوغها سن الرشد العقلي، وثقة بمقدرتها على اتخاذ القرار بمسؤولية وحُرية تؤكد حقها الإنساني في الحياة، يتطلب السفر في أرض الله الواسعة، والاختلاط بالأوساط والنشاطات الثقافية الجادة، لا الأوساط الافتراضية والنشاطات التي تُقرر وتُقام من باب الإيهام و(رفع العتَب)، يتطلب إطلاعًا مُستمرًّا لجديد السينما والمسرح ومعارض الكتاب، وزيارات حُرة للمكتبات التجارية والمكتبات العامة دون حراسةٍ إجباريةٍ مُشددة.
يتطلب ألا تكون دقيقة الاتصال بالانترنت مُراقبة، والاتصال الهاتفي محظورًا، وتجاوز عتبة باب البيت ممنوعًا، ونقاب الوجه إجباريًّا.

يتطلب أن يكون بيدها اتخاذ قرارها الفوري بالموافقة على أي أمسيةٍ شعريةٍ أو قصصيةٍ تُدعى لتقلد دور البطولة فيها، دون أن تُضطر لخوض معركةٍ مجهولة العواقب مع الأغراب والأقارب، ويتطلب مع كُل هذا الاختلاط بمُختلف نماذج المُجتمع وطبقاته وشخصياته، لإنضاج تجربة نفسية واجتماعية قابلة للتصديق والتأثير حين تسكُن الصفحات المقروءة، لا أن يكون أقصى ما تحظى به من حُرية هو الاكتفاء بدفن نفسها واسمها ومستقبلها تحت عفونة ثقافة العزل في نوادي أدب (الدائرة التلفزيونية المُغلقة)، حيث لم تشفع الثقافة في ترقيتها درجة تسمح بتجاوزها مرحلة الاستكانة في (الزريبة) إلى مرحلة تقاسُم هواء الحجرة ذاتها مع المخلوقات البشرية المُعترَف بإنسانيتها.

ولا أدري – بعد كُل هذا – كيف يجرؤ البعض على الإسراف في إهانة نصوص كاتبةٍ يُدرك أن انعزالها عن العالم كان على الرغم منها، وافتقارها للتجربة الحقيقية كان على الرغم منها، وحرمانها من التواصُل الإعلامي البنَّاء كان على الرغم منها، واستسلامها لفُتات الثقافة الذي يصل الإناث من باب الصدقة كان على الرغم منها... مثلما لا أدري كيف يجرؤ أي مثقف على المقارنة بين أدب المرأة الأوروبية والأمريكية وأدب المرأة العربية من على بُرجه الذكوري العاجي دونما مُحاولة لشطف تلك الهمجية الاجتماعية بين أبناء جنسه، وبعض الإمَّعات من بنات أبناء جنسه!.

(١٣)

عندما يكون العالم كبيرًا، شاسعًا، لذيذًا، ومُشرعًا أبوابه للغوص والإبحار والتحليق، وكل مُفردات الاكتشاف دون حدود أو قيود، وتكون الكتابة هي نافذة الروح اليتيمة للإطلال على هذا العالم النائي الشهي، واستنشاق جرعات كافية من الأمل لإبقاء الروح على قيد الحياة، عندما تتحوَّل الكتابة إلى الشيء الوحيد القادر على التخفيف من طعم حموضة حياةٍ ترتدي أسمال الموت، تصير العلاقة بالقلم هي المشروع الغرامي الأكبر، والعشق الأبدي الذي يستحق إخلاصه الصادق لنا كل ما قد نبذله من تضحيات، وتغدو السطور المشحونة بالأحداث والشخصيات والحركة الدائمة في النفس وعلى الورق هي حياتنا الحقيقية، وكل ما عداها مما نراه ونسمعه ونتنفسه على أرض الواقع ليس إلا وهمًا ضبابيًّا قادمًا من عالم الأحلام؛ مادام لا ينتمي إلى عالمنا الحبري المحبوب.

وحين يُنجب ذاك التزاوج الحميم بين القلم والورقة نجاحًا أدبيًّا قادرًا على النمو والتمدد بسلام، يرتطم كل هذا العالم المُدشَّن بمفاتيح الأمل والجمال وما تبقَّى من أرقى مُرادفات الحضارة برغبات المُجتمع، ونتانة واقع التخلف، وجهل قُطعانٍ بشرية مازالت إمعيتها تحت خط الوعي بمعنى الحرية، فتبدأ مُعاناة الكاتب وصراع روحه

مـع منظومـات العنـاد المُكرسـة لتمجيـد جاهليـة الباطـل، والتفاهـة، والترهل المُجتمعي العتيـق، ويبـدأ معهـا تـاريخٌ مُفجـع مـن المُعانـاة للكاتبة الأنثى التي تُضطر لدفع ثمن يقظتها مُضاعفًا في كل خُطوة نجاح، بدءًا من هوس التجسس الذي يلاحقها به فضول كل من هبَّ ودبَّ برفقة تطفل من هبَّت ودبَّت.. من أين جاءت؟ إلى أين ذهبَت؟ ماذا فعلَت؟ مع من تحدثت؟ ماذا أكلَت؟ في أي كوبٍ شربَت؟ كم قطعة سُكَّرٍ إلى الشاي أضافت؟ في أي ساعةٍ نامت؟.. وبقية مُعجم التساؤلات السخيفة التي لا تمت لعلاقة الكاتبة بالأدب أو الثقافة من قريبٍ أو بعيد!.. مرورًا بتوهم الجميع أحقية الوصاية على تحركاتها وسلوكها وفرض المسارات النمطية قسرًا على كل خطوة تخطوها.. وصولاً إلى بداية نهاية الحياة الأدبية لأكثر الكاتبات في منطقتنا العربية: الزواج الاعتباطي إرضاءً لخواء مخ العامة من أفراد المُجتمع!.

المُشكلة لدينا ليست في الزواج بحدِّ ذاته كمبدأ مُقدَّس، ومؤسسةٍ يجدُر بها أن تكون ملاذًا يكسو ضعف الفرد بقوة دفء الأسرة. المُشكلة تكمُن في ذاك الصراع المعنوي بين زواج روح الأديبة الأول بالحُرية مُنذُ الطفولة، وبين زواجها الثاني برجُلٍ يُحارب بتسلطه ضُرته الأولى دونما رحمة، مُتجاوزًا حقه البشري المحدود في احتكار عاطفة القلب والجسد، إلى احتكار الساعات والأنفاس والأفكار والذهاب والإياب واليقظة والمنام والأحلام والطعام

والـصيام، مُتقمـصًا دور الـرب الأعلـى المُـستحق لتقـديم فـروض العبودية ليل نـهار.. لا.. أستغفر الله؛ فـالرب الأعلى وهبنـا الحق في أن نعبده مُخيَّرين لا مُسيَّرين، مُعلنًا في كتابه بكل كرمه أن (لا إكراه في الدين)، بل مُتقمصًا دور الفرعون الأكبر على حركة كل خلجة، وكل خلية، وكل كُرية من كريات دم الإنسانة التي كان يُفترض به أن يكون باب حُريتها الأوسع، ليغدو سجن حياتها الأضيق!.

وبعد الطموحات التي لا تحد هامتها سماء، ولا جذورها قرار، ينطفئ كل شيء في مغارةٍ تم تدشينها بأنانية فردٍ واحد، وأقصى احتفالات التسلية فيها هي الجلوس بين بضع نسوةٍ تافهات يُقرمشن المُكسرات ويرتشفن الشاي غارقاتٍ في بحر لذة افتراس لحوم الغائبين والغائبات، يُكررن كلامًا مُعادًا، ويرجُمن كل امرأةٍ غير مُنقبةٍ بتُهمة الرذيلة!.

أي صورةٍ مُرعبة!!

اللعنة على مصيرٍ لا يستحق غير البُصاق! كيف يحدُث ذلك ككابوسٍ واقعي يكاد الفرار مُنه مُستحيلاً بعد سنين المُعاناة والوجع والتَّضحيات والمُغامرات، في سبيل موهبةٍ غدا انتزاعها من عصب القلب فعل انتحار؟!.

لماذا بأنانية رجُلٍ لا يُحسن القيادة يُمسي حضور الأمسيات الأدبية حُلمًا، والتفاعُل مع النشاطات الثقافية خيالاً، وحضور مسرحيةٍ حيةٍ أمنية؟

لا أريد أن أسرف في تحليل الأمر من ناحيةٍ سيكولوجيةٍ كي لا أجرح حفيظة بعض المُتزمتين ورعايا المنظومات الفكرية المُتخلفة، لكنني أحلُم وأدعو وأصلي بكل ما في أعماقي من رجاءٍ برحمة الإله، أن يأتي اليوم الذي يصير فيه زواج الكاتبات والأديبات في مجتمعنا مُستقبل دفع للطموح مثلما هو مُستقبل استقرار أسري مُفترض وواجهةٍ مُجتمعية، وأن يكون للدعم فيه مكان تفوق مساحته مساحات الأنانية وشهوة الاحتكار المرضي.

obeikandl.com

obeikandl.com

ولادة مُتعسِّرة

" الأقدار تقود ذلك الذي يُريد ،

أما الذي لا يُريد فإنها تجُره "

جوزيف كامبل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل السابع

"أيُ كمـالٍ ذاك الـذي نعرفـه قبـل أن نعـرف النقص؟.. من يدَّعي الكمال دون أن يعترف بنقصه يكون مُخطئًا"

الأديب والناقد البحريني/ عبد الجبار علي

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٤)

لا بد لكل طريق من خطوة أولى، ولابد من عثرة أولى تُرافق كل بداية. ودون بداية؛ لا مسيرة، ولا مُستقبل يهب فُرصة التحسين والتطوير.

كررتُ ذلك على مسامع نفسي مرات عديدة لأشجعها على خطوة النشر الأولى، في الوقت الذي كنت أتأرجح فيه بين شعورين مُتضادين: إحساس كثيف بضرورة النشر في تلك الفترة بالذات لأسباب شخصية، وعدم الثقة بالمادة المقدمة للنشر وتوقيته كذلك.

أخيرًا توكلتُ على الله وخطوت، وبتلك الخطوة حقَّقتُ ما أراه الهدف الرئيسي من كل تجربة نشر أولى للكاتب؛ وهي الإعلان الجاد عن اسمه في الأوساط الأدبية والثقافية المُحيطة به، ليأتي بعد ذلك دور الصبر والإصرار والمُثابرة والشغف الدائم لتطوير الذات، والأدوات في ترسيخ اسم المؤلف بين القراء والتأكيد على قيمة أعماله الأدبية بمرور الزمن.

وركزت اهتمامي على أربعة أمور: أولها أن أسير بخطوات رصينة مدروسة، توفِّر لي النضج الكافي شيئًا فشيئًا على جميع الأصعدة، دون أن أفقد انتباهي لمحيط الرؤية من حولي، لأن طريق الأدب يتطلب صبرًا طويلاً، وحذرًا دائمًا، والتسرع فيه قد يغتال نجومية

الأديب منذ بدايات شبابها، وهو ما ضرب عليه الكاتب (محمود السعدني) مثلاً في كتابه (المُضحكون) بقوله:

"في سبق الخيل مثلاً، الحصان الأصيل يبدأ مُتمهلاً ويبدأ على استحياء، والحصان الهزيل تراه في المقدمة في بداية السباق، وفي دُنيا الناس حدث التطبيق العملي لهذا المثل في أكثر من مجال، نجيب محفوظ مثلاً بدأ حياته في الظل، وكانت كُتبه توزَّع بالنسخة بينما الآخرون يوزعون بالألوف والمئات، ولكن لأن السباق طويل فقد تقطعت جميع الأنفاس وتساقطت الجياد، جوادًا بعد جواد، وبقي نجيب محفوظ وحده وتخلَّف الآخرون كل منهم في مكان".

وثانيها أن أحرص على طلب المشورة من بعض من سبقوني أشواطًا في هذا المضمار، وقد اكتشفت في حينها كم من الصعب أن يحظى الكاتب الذي يخطو خطواته الأولى في طريق الأدب بمن يأخذ أمره مأخذ الجد من الكُتَّاب الأرفع مرتبة، لا سيما النجوم منهم. أعترف أنني في ذلك الوقت شعرت بحزن هائل إزاء الإهمال الذي واجه بعضهم به رجائي مدّ يد العون، أما اليوم فقد صرت قادرة على تفهم تلك الظروف التي قد تدفع بعض كبار الكُتَّاب لعدم المُساعدة، لكنني لا أنسى أبدًا من أشرعوا لي أبواب وقتهم وجهدهم وكلماتهم الطيبة بسخاء غامر من مختلف بقاع الوطن العربي، ولولا دعمهم المعنوي، ونصائحهم التي لا تقدر بثمن، لما تمكنت من الصمود أمام إحباطاتي الكبيرة.

وثالثها أن أختار لي سبيلاً مُغايرًا لسبيل نمطية كتابات الإناث السعوديات الرائجة في تلك الفترة، لأن الإبداع عمومًا يعني التجديد، والتجديد يرفض التقليد والتكرار سيرًا على خط النمطية بقلم معصوب العينين، كما أنني أؤمن بمبدأ أن الأديب أو الفنان مثلما يجدر به عدم تكرار نفسه على صفحات أعماله، أولى به عدم الركض وراء تقليد الآخرين ممن سبقوه.

وأخرها أن لا أناقش قضايا إباحية بطريقة فجة فاضحة، ليس من باب تمتعي بالأخلاق والمثالب الحميدة، لكن لأجل حكاية تتعلق بي على صعيدٍ شخصي، إذ أثناء فترة المُراهقة، وحين بلغ عشقي للقراءة أوجه، كُنتُ أعاني من خوف والدتي الشديد عليَّ من القراءة، إلى الحد الذي كان يدفع بي لحبك خُطط عسكرية صغيرة تهيئ لي فُرصة تهريب الكُتب، وعلى رأسها القصص والروايات والمسرحيات ودواوين الشعر إلى حمام البيت، مُحتملة حرارة الجو الخانقة هُناك في ذروة فصل الصيف، وبُخار الماء الذي كُنت أترك خريره يسترسل في التمويه عن أسباب وجودي الحقيقية هُناك، ومع إطلاعي صُدفة على بعض القصص والروايات التي تصوِّر العلاقة بين الجنسين بطريقة فجةٍ تخلو من المبادئ الأخلاق وقيم الجمال بدأت أدرك مدى خطورة الكتاب الذي يمكنه بحجمه الضئيل ومقدرته على التسلل من مكانٍ إلى آخر بين طيَّات الثياب أو تحت وسادة، وانعدام إمكانية (تشفير) صفحاته، أن يكون أكثر خطرًا مما

قد يُعرض على شاشة التلفاز أو الشبكة العنكبوتية الإلكترونية (الإنترنت). عندها أحسست برعبٍ هائلٍ جعلني أدرك ما تشعُر به والدتي التي لم يكُن بوسعها إدراك الكثير من الأبعاد النفسية لشخصيتي بحُكم بساطة الحياة التي عاشتها، وفكرت بأنني لو كتبت نصًّا من ذاك النوع الذي بدأ يتفشى في مُجتمعنا، ثم صرت أمًّا، تُرى هل سيكون بوسعي ترك كتابي بين يدي أبنائي دون شعورٍ بالخزي؟ منذ تلك اللحظة اتخذت قرارًا صارمًا بأن أدقق في كل كلمةٍ أكتُبها قبل أن ينطق بها قلمي.

بعد طباعة مجموعتي القصصية الأولى اتصلت سيدة من معارف والدتي لتُخبرها أنها استمتعت هي وابنتها بقراءة المجموعة من الغلاف إلى الغلاف، وذات صُدفة كُنت أسير فيها مع والدتي التقيت بتلك السيدة مع ابنتها، وفوجئت بأن تلك الابنة لم يكُن عُمرها يزيد عن عشر سنوات! لحظتها أدركتُ حقًا أي جريمةٍ معنوية كُنتُ سأرتكب لو أنني لم أتخذ ذاك القرار، رُغم كل التحديات ومُغريات الانتشار السريع.

وكأي كاتبٍ تُساهم الأيام في صقل تجربته الإنسانية على الصعيد الروحي والأدبي، بل كأي إنسانٍ تولد ذاته في كل عامٍ مرة جديدة بصورةٍ أكثرُ نُضجًا، أعترف أن رضاي عن نصوص مجموعتي القصصية الأولى يتضاءل عامًا بعد آخر إلى حد كبير، وعزائي بهذا الصدد هو إدراكي أن السبب في هذا الشعور لا بد وأن يكون تغيّرًا

نحو الأحسن، والأكثر نُضجًا في داخلي، كما أن هذا الشعور يبقى جزءًا من الطبيعة البشرية المُتغيّرة بمرور الزمن، وهو ما يُذكرنا بحديث الكاتب البحريني حسن مدن في كتابه (ترميم الذاكرة) حين قال:

"هل حدثَ أن عُدت لكتابٍ قرأته مُنذُ سنوات، فلم تجد فيه الأشياء أو الأفكار التي أثارت لديك كبير اهتمامٍ يوم قرأته أول مرة؟ أو أن استمعت، بعد سنوات، إلى أغنيةٍ فلم تجد فيها المُتعة التي كانت تبعثها في نفسك؟، أو هل حدث أن عُدت إلى مكان، إلى مدينةٍ مثلاً رأيتها في سنوات الصبا، فلم تجد فيها الألفة أو الحميمية التي لمستها أول مرة؟ أكثر من ذلك هل حدث أن التقيت، بعد فترةٍ طويلةٍ أو حتى قصيرة، بشخصٍ كُنتَ تعرفه حق المعرفة، وكان بينك وبينه الكثير من الود والأفكار والآراء المُشتركة لكنك وجدت أنك إزاء شخصٍ آخر تمامًا غير ذلك الذي عرفته ورُبما تكون قد أحببته أيضًا؟!

هل سألت نفسك من ذا الذي تغيَّر، أنت أم الأشياء أو الأشخاص الذين تلتقيهم أو تراهُم بعد طول غياب، هل حقًا كان الكتاب أكثر مُتعة والأغنية أكثر شدوًا والمكان السابق الذي ألفته أكثر ألفة والصديق القديم، أو الحبيب، أكثر قربًا من النفس وأكثر دفئًا، أم أن كل شيء قد تغيَّر فلم تعُد تجد المُتع السابقة أو تحياها أو تشعُر بها؟ ولعلك ساءلت نفسك أن الأشياء والأماكن والأشخاص الذين كُنتَ

تعرفهم هُم هُم، مـازالوا أنفُسهم، وإن التغيرات العميقـة إنمـا طرأت عليكَ أنت بالذات، فلعلك أصبَحتَ أكثر نُضجًا ومعرفـةٍ ووعيًا بحيث أن ما كان يُبهرك في السابق لم يعُد كذلك، فصرت تتطلـع إلـى أشياء أكثـر إبهـارًا وإثـارة للدهـشة وإلـى أشـخاص تظـنهم أكثـرُ قُربًـا إلـى روحك؟"

إيماني بكل هذا جعلني أثق بمقولـة الفيلسوف الفرنسي فولتير: "يتم تحقيق الكمال قليلاً قليلاً، ومع ذلك فهو ليس شيئًا قليلاً في ذاتـه"، وأن يتقدم المرء خطوة بعد خطوة إلى الأحسن، خيرٌ من أن يبدأ بداية مُدويَّة الصوت، ثم يتقهقر بصمتٍ مُفجع لطموحاته.

obeikandl.com

الفشل الثامن

"وكمثال آخر، الناشرون عندنا ليسوا تجارًا إنهم يشتغلون في ميدان الثقافة هكذا يعتبرون أنفسهم. لقد سمعت من كُتَّاب عرب أن النَّاشرين يستغلون الكُتَّاب ويسرقون حقوقهم! والجميع يعرفون ظاهرة تصوير الكتب ونشرها دون إذن من المؤلف أو دار النشر، هذا لا يحصل عندنا على الإطلاق، كثيرًا ما تقوم العلاقات في البلدان العربية على الصِلات الفردية أو الخدمات الخاصة، أو أسوأ وسيلة وهي الرشوة، تغيب الثقة فيحل محلها المنفعة المتبادلة ونحن نسمع دائمًا تعابير من نوع: عشان خاطرك! وهكذا تحدث أشياء غير قانونية، ويتبادل الذين يخالفون القوانين الحماية والمكاسب".

المؤلف الياباني/ نوبواكي نوتوهارا

obeikandl.com

(١٥)

في نهايات أكتوبر ٢٠٠٩م التقيت خلال ورشة لكتابة السيناريو؛ أقيمت في مملكة البحرين؛ بزميلة روائية شابة من الجمهورية اللبنانية، كان ذلك في فترة سعيت خلالها للبحث عن ناشر ملائم لهذا الكتاب، وكان قد وقع اختياري غير المُعلن على واحدة من كُبريات دور النشر اللبنانية الشهيرة، والتي كانت ومازالت تُتقن اللعبة الإعلامية والتسويقية الكفيلة بتحويل أتفه شخبطة من قلم فتاة سعودية إلى ظاهرة إبداعية جبارة لا يُشق لموهبتها غُبار!!، لكنّني سُرعان ما استبدلت تلك الفكرة بوعد صارم لنفسي بعدم التعامل مع تلك الدار طوال حياة قلمي بعد سماعي حكاية مُعاناة تلك الزميلة المسكينة معهم، وإخلافهم جل وعودهم لها.. مازالت نغمة صوتها التي يتقاسمها الحزن والغيظ والإحباط تتردد في ذهني وهي تقول: "في البداية يوهمونك أوهامًا كبيرة ويرفرفون بك في سماء الأحلام، يعدون كتابك بكذا وكذا وكيت، ثم في النهاية لا ترين رُبع، ولا حتى عُشر تلك الوعود".

وأدركت كيف أن تلك الدار ليست أمينة في تعاملها مع مؤلفيها، وأنها تتعامل بمبدأ الـ(خيار وفقوس) كما يقول الإخوة الأعزاء في سورية، فتُدلل جماعة الخيار وتترك جماعة الفقوس لتواجه كُتبهم

مصيرها بمفردها، شعرت بكل كلمة نطقتها تلك الزميلة لأنني أنا الأخرى مررت بتجارب مُشابهة ومُتباينة مع مؤسسات نشر أخرى، فرغم أن الكتابة هي الدواء الأمثل لمعالجة التهابات روح الأديب، غير أن قضية النشر التي تليها أشبه بضربة شديدة الإيذاء.. إن لم تؤدي لقتل موهبتك إحباطًا ويأسًا، فستجتازها بقوة وعزيمة تؤهلك لمقاومة المزيد من الضربات.

obeikandl.com

(١٦)

فيما مضى، كان دور الكاتب الموهوب – في الغالب – ينحصر في إتمام كتابة العمل ثم تقديم مخطوطته المكتوبة بخط اليد لدار النشر التي تتولى رعايته إلى حين وصوله بين يدي القارئ..

أما اليوم فقد انقلبت موازين العلاقة بين دور النشر الخاصة وبين الكاتب ومخطوطته، إذ صار الكاتب الذي يرجو مستقبلاً جيدًا لأعماله، مجبرًا على التكفل بكافة إعدادات الكتاب منذ بداية كتابة مسودته بخط اليد، حتى توزيعه بعد الطبع لضمان وصوله إلى يد القارئ الذي يحترمه، لأنه إن لم يفعل ذلك فيصعق بذاك المسخ الورقي الصغير الذي تقدمه له جهة النشر تحت عنوان (كتاب)، فكتاب كهذا الذي بين يديك يا عزيزي القارئ يتطلب مني في البداية جمع المعلومات والنصوص والصور المتعلقة بمضمونه، ثم العكوف حتى ما شاء الله من الوقت على الكتابة بالتفصيل، ويستحسن بالطبع أن تبدأ الكتابة بخط اليد تحسبًا لأي مفاجأة تقنية مستقبلية من مفاجآت الحاسب الآلي المرعبة، كضياع الملفات والفايروسات ومشتقاتها، بعد إتمام الكتابة بخط اليد لابد من طباعة النص كاملاً بيد الكاتب نفسه بواسطة الحاسب الآلي، لأنه لو سلم مخطوطته اليدوية الثمينة إلى جهة النشر لرقتها سيشتم ثقته

الكبيرة بتلك المؤسسة حين تطالعه عشرات الأخطاء الطباعية التي يكاد بعضها يغيِّر من مضمون النص بأكمله، وبعضها يحوِّل كلمة في غاية الأهمية والرصانة إلى لفظ بذيء!!..

بعد إتمام كتابة النص آليًا تتم طباعته ورقيًا وتسليم نسخة منه إلى مدقق لغوي ونحوي جيّد، فالكاتب مهما كان متقنًا لتقنياته الأدبية واللغوية لا يضمن كون عمله ناصعًا من الأخطاء الطفيفة، لا سيما إن كان تخصص دراسته الأكاديمي لا يمتّ للغة العربية وآدابها بأدنى صلة مثلي، وما أكثر عشَّاق تصيّد أصغر الأخطاء على الكاتب عن حسن أو لؤم نية، وصحيح أن بعض دور النشر الكبرى توفِّر مدققين لغويين ذوي ضمائر تحترم نفسها، غير أن الغالبية العظمى من أكواخ النشر الخاصة التي ولدت منذ بداية الألفية الثالثة حتى اليوم أبخل كثيرًا من أن توفِّر تلك الضرورة!. وإذا كان الكاتب مسالمًا وطيبًا وحذرًا في الوقت ذاته – مثلي– فلا يجد خيارًا أمامه غير طباعة المخطوطة وتسليمها هو بنفسه لمدقق يثق به، ولا بدَّ من تجنب إرسال المخطوطة كنسخة غير مطبوعة عبر البريد الإلكتروني إلى المدقق، لأن الكاتب مهما كان واثقًا من ضمير المدقق ومبادئه بشأن السرقات الأدبية، لا يسعه الثقة مطلقًا بعدم سهوه أو تشتته الذهني، إذ قد يُعيد إرسال النسخة السابقة غير المصححة عن طريق الخطأ، وقد ينسى تلوين الكلمات التي تم تعديلها باللون الأحمر لرؤية الفرق، الأمر الذي سيعرض الكاتب

الحساس بطبيعته المرهفة للغرق في محيطات إحراج كبير ويضيع من الوقت الكثير في إعادة الطلب والمراسلات، لذا فإن الحل الأكثر أمنًا وسلامًا هو تسليم المدقق نسخة ورقية من المخطوطة، ويطلب منه وضع خط بالقلم الأحمر تحت الكلمة ذات التركيب اللغوي غير السليم ثم إعادة كتابتها بالشكل الصحيح على هامش الصفحة، ليعدلها الكاتب بنفسه على صفحات النسخة الآلية بعد استلامها من المدقق، وقبل طباعتها مجددًا.

بعد انتهاء مرحلة التدقيق اللغوي تأتي مرحلة البدء بالصف وترتيب المادة المُعدَّة للنشر في ألبوم أو ملف، وهي خطوة لابدَّ من الشروع بها مبكرًا عند إعداد الكتب التي تضم بين دفَّتيها صورًا أو خرائط أو مُخططات توضيحية، وعلى وجه الخصوص تلك التي تتحدث في مواضيع متعددة تصبّ جميعها في تيار واحد تحت عنوان جامع، إذ يبدأ الكاتب منذ البداية تخطيطه لإعداد الكتاب بجمع كل ما يرفد صحة ما كتبه من وثائق وصور ومراجع ومعلومات، ثم يشرع بترتيب ما يخص كل موضوع بعينه مع صوره ووثائقه كُلاً على حدة، كي لا تختلط أوراق موضوع بآخر أو يتشتت ذهن الكاتب منذ البداية فلا يدري من أين يبدأ وإلى أين ينتهي.

بعدها يحين دور البحث والاتفاق مع فنان يتقلد مسؤولية إعداد الرسوم الداخلية للكتاب، وإذا كنت من عشاق الأغلفة المعبِّرة التي تدعو القارئ لكتابك قبل أن يدعوه العنوان، فلا بدَّ من البحث عن

صورة غلاف تلائم مضمون الكتاب لتنال موافقة المصوِّر أو الرسام، وحبَّذا لو كانت الموافقة خطية وموقَّعة، وإن لم يجد صورة غلاف توائم رغبات مخيلته بالنسبة لعنوان كتابه ومضمونه فلابدَّ من البحث عن فنان تشكيلي ذو موهبة وإتقان يستحقان شرف الثقة كي يتكفَّل برسم صورة مُعبِّرة عن مضمون الكتاب. بالطبع هناك دور نشر لا تُقصِّر في التكفل بتلك الخدمة، لكن الغالبية العظمى من دور النشر في أيامنا تمتاز ببخل مدقع تمتنع به عن التعامل مع رسام كي لا تدفع أجرته، وكسل تعجز معه عن بذل ما يكفي من الوقت للبحث عن لوحات تشكيلية مرسومة من قبل تصلح لأن تكون غلافًا يليق بالكتاب، لا سيّما إن كان رواية أو مجموعة قصصية، أكواخ نشر أخرى تسرق الصور أو الرسوم بواسطة الشبكة العنكبوتية الإلكترونية (الإنترنت) دون الحصول على إذن الرسام ودون الإشارة إلى اسمه على الكتاب حتى، وهو خرق قانوني واضح وانتهاك صريح لحقوق المُبدع! وأكواخ نشر ثالثة توظف أشخاصًا غير محترفين تسميهم مصممين وتروِّج لهم كـ(فنانين) رغم أن كل ما يفعلونه هو سرقة صورة من هنا وأخرى من هناك لتعديلها وقصها ولصقها ومزجها بصور وألوان أخرى، دون الإشارة لأصحاب أولئك الصور الأصليين من فنانين ومصورين حقيقيين! وأخيرًا، دور النشر التي فوق ما تكتنزه من بخل تمتلك سوء ذوق فني مقذع يجعلها لا تتورع عن إعداد أغلفة تفتقر إلى

أدنى درجات الجاذبية لأية قارئ، كأولئك الذين يلتقطون صورة لإبريق قهوة ويلصقونها كما هي لتكون غلافًا لمجموعة قصصية! أو الذين يظنون أن صورة ضوئية (فوتوغرافية) لأحد مصابيح الشارع، أو صحون المطبخ، أو سيارة قديمة، أو نعلاً عتيقًا، أو جدارًا مقشور الطلاء تصلح لأن تكون غلافًا لكنز من كنوز الفن والخيال كالقصة والرواية والمسرحية! ثم يتساءلون بعد هذا عن السر الذي يجعل القراء يحجمون عن اقتناء الإصدارات الأدبية!.

بعد إعداد لوحة الغلاف يمكنك إرسالها لدار النشر كي تتولى تصميم الغلاف، لكن إذا كنت من أولئك الذين يأخذون أمر أغلفة كتبهم بجدية توازي جدية اهتمامهم بمضمون مؤلفاتهم، وكنت ممن جربوا فساد ذوق أحد أكواخ النشر من قبل وجهلها في إعداد الأغلفة الجذابة، فلابدَّ من البحث عن مصمم موهوب لإعداد الصورة الإخراجية النهائية للغلافين (الأمامي والخلفي) وفق رغبتك الخاصة ورؤيتك ككاتب لمضمون الكتاب، لأنك إن غامرت بتركه بين يدي إدارة الكوخ الأميّ في مجال التصميم والإخراج فقد تُصدم بتصميم وألوان بعيدة عن الجاذبية، أو حتى لا توافق ذوقك الخاص الذي له كل الحق في الاختيار وأخذ حرية القرار مادمت قد دفعت مقدم إعداد الكتاب وطباعته من حُرِّ مالك الخاص الذي لم يساهم فيه كوخ النشر بدرهم ولا دينار.

هناك أكواخ نشر مبتدئة أنانية فيما يتعلق بتصميم الأغلفة وتنسيق الصفحات الداخلية للكتاب، رغم أنك رضخت لنشره على حسابك الخاص، ومنهم من يعتبرون الكتاب لهم وأنهم أصحاب فضل في بزوغه إلى النور ويُصدِّقون أنفسهم!، الأمر الذي يجعلهم يظنون أن لهم كامل الحق في فرض ذوقهم فوق ذوقك على كتابك الحبيب الذي سهرت الليالي وركضت أيامًا في سبيل تأليفه ومراجعته، ولك كل الحق في اختيار الثوب الذي يخرج به أمام الناس مثلما يحق لك اختيار ملابس ابنك الصغير قبل خروجه معك إلى مقابلة الآخرين.. إياك أن تسمح لهم بإشباع رغبتهم في وضع لمساتهم الدَّبقة على غلاف الكتاب أو مخططه، تذكَّر أنَّه ابنك أنت وليس ابن أولئك الذين لم يتعبوا عليه كما تعبت، أو ينفقوا لأجل حياته مثلما أنفقت، وإذا تصدَّقوا عليك برؤية (تحفتهم الفنية) التي تصيب طموحات مخيلتك بالدمار الشامل، وكنت ممن يحرجهم تهذيبهم عن طلب إعادة تصميم الغلاف بأكمله مجددًا، واكتفيت بالتعليق على خللٍ واضح في نقطة كنتما قد اتفقتما عليها من قبل، فسيقابلون تهذيبك بالتأفف من (إضاعة وقتهم الثمين)! وإذا تفضلوا وتحننوا عليك بإصلاح أخطائهم الفادحة، فإنهم لا يستحون من التأكيد عليك بعدم (العبث) في (كتابك) كي (لا تضطرهم) إلى (إعادة إخراجه)!!.

بعد إتمام تنسيق غلاف الكتاب وصفحاته، احفظ المستند على أكثر من قرص مدمج، فضلاً عن ذاكرتك الفلاشية الخاصة، وأرسل

نسخة إلى دار النشر عبر البريد الإلكتروني مع حفظ نسخة من الرسالة بملفها المرفق في بريدك، أما إذا كُنت تتعامل مع كوخ نشر غير متطور بما يكفي لامتلاك بريد إلكتروني، احرص على إرسال نسخة من مستندك من عنوانك الإلكتروني إلى عنوانك مرة أخرى كحماية إضافية لمستندك من احتمالات العطب أو الضياع، وهنا تنتهي مرحلة كدحك لإعداد النسخة اللينة من الكتاب، وتبدأ مرحلة الكدح للخطوة التالية.

obeikandl.com

(١٧)

بدأت تجربتي الأولى في النشر المنفرد بخبرة شحيحة، وإن كنت أشكرك الله تعالى أنها لم تكن معدومة تمامًا، بفضل علاقاتي السابقة بزملاء الوسط الثقافي والأدبي، خارج دول مجلس التعاون الخليجي، ولو أنني كنت أجهل أسرار النشر المحبطة تمامًا لربما دفعني حجم الصدمة الأولى للتخلي عن التجربة إلى الأبد.

استهلكت وقتًا طويلاً في البحث عن دار نشر قريبة تتكفَّل بجميع خطوات إخراج وطباعة ونشر الكتاب وفق رغبتي الخاصة كمؤلفة للكتاب، شرط أن تكون نشاطاتها قائمة على سياسات تحترم نفسها وتحترم القارئ، وكانت المفاجأة تنتظرني بعدم إيجاد تلك الدار! اكتشفت دور نشر تُطالب الكاتب منذ البداية أن يتكفل الكاتب بكافة شؤون إعداد وإخراج كتابه ثم تسليمه لها لتطبعه فقط لا غير، ثم يتكفل هو بعدها بتسويقه وتوزيعه، دور نشر أخرى توافق على استقبال الكتاب لكن سياساتها تقوم على رفض صور الغلاف التي تمثل مخلوقات حية! دور نشر أخرى تطالب بنسبة أرباح تقترب من الخمسين بالمائة، بينما تتقاسم البقية تكاليف الشحن والمكتبات، وهو أمر يعني أن تُحقق دار النشر أرباحها من جهد الكاتب دون أن تسمح له حتى بمحاولة استرداد جزء من تكاليف الطباعة بعد حصر

المبيعات! جهات نشر غيرها تعلن عن استعدادها للتكفل بكافة إعدادات الكتاب، غير أن سماحها لنفسها بنشر كتب وروايات سيئة السمعة في المجتمع العربي جعلها خارج نطاق اهتمامي، إلى أن اضطررت بعد أن بلغت أقصى ذرا الإحباط إلى تقديم مخطوطتي لأحد أكواخ النشر المُبتدئة، على أمل أن أتمكَّن بجهدي الخاص من إثبات كياني وسياساتي الأدبية المحافظة بين أوساط القراء.

لم تكن تلك المغامرة هينة كما قد يتصوَّر البعض، فكثير من القراء الجادين يهتمون كثيرًا لاسم دار النشر التي طبعت الكتاب، ومنهم من يبني انطباعه الأوَّلي عن النص المطبوع وفقًا لاسم دار النشر وسمعتها في هذا المجال، لذا أعترف أنني قاومت كثيرًا كي لا ألجأ لتلك الجهة بعد تأكدي من إصرارها على تقديم مجموعة من العناوين لمضامين تنم عن انحلال أخلاقي فاضح وتفاهة لا تخفى وأسلوبي أدبي مهلهل، لكنني فشلت، واضطررت إلى الاستسلام.

ثم فوجئت – بعد فوات الأوان – أن تلك الأكواخ هي الأخرى، فوق ما تمتاز به من سمعة سيئة، تمتلك أسوأ الإدارات في التعامل مع عملائها من المؤلفين والكُتَّاب، وأسوأ الاستعدادات التقنية والفنية المخصصة للتعامل مع الكتب، إذ بدأت دهشتي الأولى بعدم استعداد كوخ النشر التي قررت التعامل معه في مجال التدقيق اللغوي والنحوي للمخطوطات قبل طباعتها، وهو ما كنت أتصوَّره أمر لا تخلو منه دار نشر مهما كانت مبتدئة، على اعتباره من أساسيات مهنة النشر!.

والحقيقة أن قضية التدقيق من قِبَل خبير متخصص في قواعد اللغة العربية في وطننا العربي يتنازع فيها اثنان من الآراء، الأول رأي جيل قديم محافظ من الأدباء، يرى في مجرد التفكير بالاستعانة بالمدققين مهزلة تنال من قيمة الأدب وتعتبر كاتب النص ليس أديبًا ما لم يكتبه كاملاً؛ من الكلمة الأولى حتى الأخيرة دون أدنى خطأ نحوي أو إملائي؛ ورأي جيل حديث يرى في الأمر برمَّته مهزلة وإضاعة لوقته ووقت المدقق المختص على اعتبار أن أكثر القُرَّاء العرب في عصرنا الحديث لا يتقنون قواعد لغتهم العربية ولا يفطنون للخطأ فيها من الصواب، وهو ما يذكرني بوجهة نظر (البروفيسور) بطل نص (العصفورية) رائعة الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي (رحمه الله) حين قال:

"ومشكلتي مع السباعي وعبد القدوس أنهما كانا ضعيفين في القواعد، وكانا يفتخران بهذا الضعف، جاء المدرسون أو جاء المدرسين ما الفرق؟ لن يفهم أحد أن المقصود هو المدرسات. كلام سخيف، وعندما يجيء من روائي يصبح أكثر من سخيف، هل تعرف مشكلة الروائيين العرب المُعاصرين؟ لا تعرف؟ مشكلتهم أنهم لا يحفظون ألفية ابن مالك، مع أنها أرجوزة ظريفة، (كلامنا لفظٌ مفيد كـ استقم/ واسمٌ، وفعلٌ، ثمّ حرفٌ. والكلم/ واحده كلمة والقول)".

وبين إفراط الرأي الأول وتفريط الرأي الثاني ثمة رأي ثالث يؤمن بأن دور الكاتب يشمل كتابة النص بأفضل صورة متاحة وأفصح لغة ممكنة، ثم يأتي بعده دور المدقق الذي يتأكد من سير خطوط اللغة على ما يرام في النص، على اعتبار أن مسؤولية الكاتب يفترض بها أن تقف عند حدود صب موهبته الفكرية والأدبية على الورق فحسب، وما عدا ذلك من مسؤوليات لابدَّ وأن يتكفَّل به فريق عمل آخر، ومثلما لا بدَّ وأن يتَّحد مخرج ومنتج وكاتب سيناريو وممثلين وعدد لا بأس به من الفنيين في مجالات مختلفة لصناعة فيلم سينمائي، لا بدَّ وأن يتَّحد الكاتب والرسام والمدقق والموزع تحت مظلة مؤسسة النشر لإبراز الكتاب بأجمل صورة تليق بمضمونه، لا سيما إن كان نص الكتاب المنشور نصًا أدبيًا لقاص أو روائي حديث الوفود على مملكة النشر المنفرد، لأن التشتت الذهني والشرود الدائم لأرباب القصة والرواية الناجم عن وقوعهم تحت سلطان شطحات مخيلتهم الخصبة، ونسيانهم الدائم حتى لأقرب تفاصيل حياتهم الدقيقة قد ينعطف بانتباههم عن كلمة أو قاعدة سهوًا لا عمدًا.

وبمقاييس عصر الكتابة الحديث، أرى أن ليس من العدالة أن يظهر كتاب نصف جيد لكاتب نصف موهوب فلا يجد القراء بين طياته أدنى خطأ نحوي بفعل جهود مدققيّ دار النشر، فيركزون اهتمامهم على مضمون الرواية فحسب، بينما يبزغ كتاب جيد جدًا لكاتب

متميز الموهبة فيلتفت الجميع لخطأين نحويين أو ثلاثة وقعا في نصه سهوًا ليضرب ذلك نظرة القراء لأدبه ضربة قد يكون من العسير تجاوزها مستقبلاً، كل هذا بسبب تكاسل جهة النشر التي ائتمن عليها كتابه لإبرازه إلى النور في خير صورة، رغم أن كلتا جهتي النشر تناولتا تكاليف إعدادات النسخة المطبوعة من الكتاب كاملة، ومتماثلة!.

وحين نتحدث عن التدقيق بالنسبة للنص الإبداعي، فإننا نتحدث عن السهوات النحوية تحديدًا؛ وفقط لا غير؛ أما التراكيب اللغوية الجديدة والمُبتكرة في النص الأدبي المكتوب، والتي يُسارع بعض مُدرسي اللغة العربية من غير المُنخرطين في المجال الإبداعي الأدبي بانتقادها على اعتبارها أخطاء، من باب جهلهم بطبيعة هذا الفن، فلا يجوز ضمَّها إلى تلك الزاوية، لأن الكتابة الأدبية هي فن قائمٌ على الإبداع والابتكار والتجريب، لُغتنا العربية في هذا طيعة ولود، وليست علمًا من علوم الحساب أو الرياضيات التي تسير على خط نظرياتٍ وقوانين تأبى ليونة التشكيل.

(١٨)

وبعد شهرين تقريبًا من الانتظار ثم اليأس من قرب تحسن الأحوال، قررت الاستسلام لمشيئة جهة النشر التي أعلنت عن إمكانية عرض مخطوطتي على مدقق من طرفهم، وهو أمر لم يتفضلوا عليَّ به منذ البداية، وإنما بعد نظرة دهشة طويلة من مدير الكوخ الذي بدا لي أن خبرته مع الكاتبات السعوديات على وجه الخصوص تجعل مما أطلبه أنا خارجًا عن مألوف العادة، ثم كان ردَّه بعد نظرة تورط صبَّها بصره على المخطوطة:

- ولماذا لا تدققينها أنتِ؟

- علم النحو العربي ليس تخصصي، وأنا ممن يؤمنون بمبدأ (أعطِ الخبز خبَّازه ولو أكل ثلاثة أرباعه).

- ثلاثة أرباعه؟!.. إحم.. نعم.. في الحقيقة نحن نتعامل مع اثنين من المدققين، وأحدهما داخل البلد والآخر في دولة عربية شقيقة.. لكن المشكلة أنكِ أتيتِ في عز الصيف، والجميع قد فروا من الحر.

قلت بتسامح ورجاء:

- خذ وقتك، المهم أن يُطبع الكتاب مُدققًا ومُصححًا كما يجب.

وبعد انتظار أربعة أشهر كاملة اتصل بي مالك كوخ النشر معلنًا انتهاء مرحلة التدقيق أخيرًا، وكانت صدمتي الكبرى حين اطَّلعت

على مخطوطة الكتاب لمراجعتها قبل الطباعة، وجدت أنّها عادت إليَّ بأسوأ مما كانت عليه قبل الإرسال! إذ بدلاً من التدقيق اللغوي والنحوي فوجئت باستبدال كلمات بكلمات أخرى مغايرة تمامًا للمعنى الذي قصدته في نصوصي القصصية بدلاً من رصد السهوات النحوية وتعديلها بالرفع أو النصب أو الجزم كما هو العُرف الواضح في هذا المجال! فعلى سبيل المثال، أذكر أنني بين سطور إحدى القصص كتبت جملة تقول: "وكنتُ أراها من أولئك الذين مازالت براءة قلوبهم تؤمن بمبادئ الحب (القيسي الملوَّحي)"، فإذا بالجملة تعود لي بعد العبث بالمخطوطة هكذا: "وكنت أراها من أولئك الذين مازالت براءة قلوبهم تؤمن بمبادئ الحب العذري"! ثمة فرق كبير في معنى الجملتين، فالحب (العذري) أكثر تعميمًا وشمولاً من مفهوم الحب (القيسي الملوَّحي) الذي يؤكِّد جنون الشَّغف وصدق العاطفة كمشاعر استثنائية من بين مختلف نماذج الحب، وسماعنا كلمة (عذراء) يوحي بمعنى وإحساس مغاير تمامًا لسماعنا اسم (قيس بن الملوَّح).

يذكرني هذا بمقال شيِّق للكاتبة الدرامية اللامعة (وداد الكوّاري)، كنت قرأته ذات صدفة على صفات أحد أعداد مجلة (زهرة الخليج) الإماراتية، مع خالص اعتذاري لعدم امتلاكي هذا العدد ومن ثم فوات فرصة ذكر رقم العدد وعامه وتاريخه، تحدَّثت كاتبة المقال عن صدمتها حين اكتشفت تغيير عدد لا بأس به من كلمات وجُمل سيناريو أحد المسلسلات التي كتبتها دون علمها، إلى درجة أن

المخرج كان يقول للممثل: (إذا نسيت جملة أو استعصت عليك كلمة فيمكنك قول أخرى بنفس المعنى)، وذكرت في مقالها حكاية شاعر غير عربي قدَّم إحدى قصائده لصديق طالبًا منه الإطلاع عليها، فنصحه الصديق بتغيير أربع كلمات بدت له صعبة، وحين قرأ الشاعر قصيدته تلك على مسامع الملأ، كان تعليق من سمع تلك القصيدة ممن يعرفونه ويعرفون أسلوبه الشاعري أن القصيدة جميلة ولا يعيبها غير أربع كلمات تبدو دخيلة على النص، ولا تمُّتُ بصِلة لأسلوبه الفريد وذائقته الشعرية المتميزة!

لا شكَّ أن الشاعر تعلم درسًا ثمينًا من تلك التجربة، مثلما أنا تعلمت درسًا لا يُقدَّر بثمن من تجربة تسليم مقاليد التدقيق لدار النشر دون التأكد من هوية القائم بتلك المهمة ومؤهلاته اللغوية والأدبية ودون الإصرار على معرفة اسمه، وبعد أن عاد لي الكتاب بهفواتي دون إصلاح، بل وبإضافات غريبة مزعجة أضاعت المزيد من وقتي في إعادة الأمر إلى ما كان عليه، واستفزَّت قهري وجنوني بعد سبعة أشهر من الدوران في تلك الحلقة المفرغة من اللاجدوى حتى طلبتُ طباعة الكتاب كما هو، وليذهب حلمي في إخراج عمل متقن يتحدى المتربصين بهفواتي إلى الجحيم، لكنني وعدتُ نفسي بعد نشر الكتاب وعدًا صريحًا بعدم تقديم أي عمل من أعمالي لدار نشر تطبعه دون أن أسعى لتدقيقه بمجهودي الخاص؛ ما لم تكن واحدة من كبريات دور النشر ذات السمعة الطيبة الموثوقة في الوطن العربي.

(١٩)

المشكلة الثانية التي واجهتني هي عدم توفر الاستعدادات الجدية لدى تلك التي كانت تدَّعي أنَّها (دار نشر) في مجال إعداد أغلفة الكتب، في الوقت الذي كنت أتصوَّر فيه أن لكل دار نشر رسَّامين أو على الأقل رسَّام واحد محترف تتعامل معه في هذا الإطار، وكنت قبلها قد أضمرت في نفسي الخطوط العريضة للصورة التي سأتناقش مع ذاك الرسام الذي سرعان ما اكتشفت عدم وجوده! ومازال بوسعي استحضار طعم الإحباط الذي ملأ روحي لحظة تحدَّث مدير الدار معي في هذا الأمر، إذ بدأ بسؤالي خلال لقاء الاتفاق على إعدادات العمل:

- وماذا عن صورة الغلاف؟

أجبت بحماس من كانت تظنه يستفسرها عن رغبتها بهذا الشأن لتحقيقها:

- نعم.. أحب أن يقوم رسام محترف برسم لوحة تُعبِّر عن مضمون القصة الأولى من مجموعتي القصصية.

- هل تعرفين أحدًا يقوم بذلك؟

- لا !

قال بأسلوب من يحاول إقناع شخص ساذج بأيديولوجيا ثمينة:

- أنا لا أؤمن بمسألة أن يطلب من أحد الفنانين رسم لوحة الغلاف لكتاب، فالرسام حين يرسم اللوحة يرسمها من خلال وجهة نظره ولأجل فكرة عن موضوع محدد في ذهنه، بينما اختيار لوحة تشكيلية جاهزة يوحي بانطباعات أكثر عمقًا لمن يرى الغلاف.

وددتُ لحظتها أن أثور في وجهه قائلة: "وما شأني أنا بما تؤمن أنت ولا تؤمن، ما شأني بما ترى ولا ترى.. إنه كتابي أنا، وقد تحمَّلت تكاليف الطباعة كاملة كي يولد وفق ذوقي ورغبتي أنا.. وليس أنت!"

ثمّ قال:

- أنا مثلاً أختار بعض أغلفة الكتب التي ننشرها من اللوحات التشكيلية للفنانة (.....)، فرواية (.....) ورواية (.....) اخترت لهما صورتي غلافين من لوحاتها.

وذكر اسمي نصين من أشد النصوص التي توَّلت داره طبعاتها بين عامي ٢٠٠٦-٢٠٠٧م فسقًا وانحلالاً وتفاهة في المضمون، فلم أتمالك أعصابي وهتفت بحنق غير محسوب:

- لا أريد أن يعامل كتابي ككتبهما.

قال بعد لحظة استغراب أطلَّت من عينيه:

- حسنًا.. ابحثي أنتِ عن حل وسأبحث أنا وأرى.

أدرك أن كثيرين غيري كانت ردودهم ستجانب الصواب في تلك اللحظة، لكنني اضطررت للتماسك أمام سوء الأخبار حفاظًا على بقايا احترامي لنفسي كمؤلفة، وقلت بهدوء:

- سأفكر بالأمر.

عدتُ في المساء إلى داري حزينة مهمومة، وبدا وكأن خطوتي الثانية لتحقيق حلمي – بعد خطوة الكتابة – قد أعادتني خطوات واسعة إلى الوراء بدلاً من أن تهبني أملاً وتفاؤلاً يدفعني خطوات أوسع للأمام، لم يكن من السهل عليَّ خوض رحلة بحث طويلة للبحث عن رسام ملائم في الظروف الثقافية والفنية المعقدة التي تعيشها كاتبة أنثى في المملكة العربية السعودية خصوصًا، فقررت إخراس عدم رضاي والتوكل على الله ثم البحث بين اللوحات المنشورة على الشبكة العنكبوتية الإلكترونية عن أي لوحة تصلح غلافًا، آملة أن يأذن لي رسامها باقتباسها، والأمر لله من قبل ومن بعد!.

(٢٠)

ومنذ يوم توقيعي على ورقة الاتفاقية بدأ عهد المماطلة، وإهمال الرد على الرسائل الإلكترونية المستفسرة عن مصير طباعة الكتاب وشحنه بعد أن كانوا قبل استلام النقود يردون كمن يصل ليله بنهاره أمام الحاسب الآلي! وأخيرًا، وبمعجزةٍ إلهية ردوا بأن الكتاب قد وصل من مدة! (لماذا إذن لم يُخبروني؟!)، ويوم أمسكت أوَّل نسخة من الكتاب بيدي تلقَّيت اللكمة الأولى بدلاً عن الفرحة الأولى، الكتاب دون رقم ناشر دولي!، يعني باختصار نحنُ أمام جناية قانونية واعتداء صريح على حقوق المؤلف؛ إذ بأي وجه حق يُلصق اسم تلك المؤسسة التجارية على كتاب تحت مُسمى ناشر دون أن تهب ذاك الكتاب رقمًا وتسجله؟ حين سألته عن الأمر في ذلك الحين، مازلت أذكر جيدًا أنه كان جالسًا باسترخاء مُبالغ فيه على مقعده الدوار، عندها أجاب بالإنجليزية دون مُبالاة: (إيت إز فيري ليييييت)، وقال إن الأمر لا يهم، لأنهم في المكتبات المحلية يُعاملون تلك الكتب مُعاملة الكتاب المستورد ويُرقمونها بأنفسهم.

أشعرني بأنني (بائعة فجل) ولستُ (مؤلفة)! وكان هذا أهم الأسباب التي دفعتني لطبع مجموعتي القصصية لدى دار نشر أخرى في جمهورية مصر العربية بعد مرور عام على طباعته في البحرين،

والمُضحك المُبكي في الأمر، اتهامهم لي بعدها بتجاوز (أخلاقيات النشر) حين طبعت كتابي بواسطة دار نشر حقيقية، تُعطي رقم ناشر دولي وتدقيق لغوي وتصميم للغلاف وكل هذا بتكاليف أقل كثيرًا، دون أن (أستأذن) منهم! بحقّ الله! هل هذا الكلام يُصدَّق يا ناس! هل سمعتم عن مُجرد (مطبعة) تتحكم في المؤلف وتُطالبه بأن يستأذن أو لا يستأذن؟!، ويُخبرهم أو لا يُخبرهم؟! ألا يكفي أنني صمتُ تلافيًا للمشاكل، ولم أتشاجر معهم ولم أتسبب بفضحهم قبل اليوم بسبب هذه القضية؟! (مطبعة)! أستغفر الله، فالمطبعة تمتلكها دار نشر لبنانية، أما هُم فـ(قنطرة للطباعة) ليس إلا.

المهم، بعد وصول النسخ أخذت في المرة الأولى عددًا غير كبير، وزَّعته على نُخبة من الأهل والأصدقاء وأرسلت بضع نُسخ إلى حيث أشاء، وعُدت إلى مقر الدار دون سابق موعد لأطلب المزيد من النسخ التي مازال لي منها أكثر من ٧٠٠ نسخة، فثار الرجل ثورةً عنيفة، وانفجر في وجهي قائلاً بأن النسخ (للبيع) وليست (للتوزيع على الناس)! بينما انعقد لساني حينها دهشة!، إذ أن المُفترض – وفقًا لبنود الاتفاقية الموقعة – هو أن أستلم الـ٨٠٠ نسخة بيدي كاملة، لكن نظرًا لمُعاناتهم مع ظروف الشحن من لبنان إلى البحرين – على حد قولهم – والتكاليف، ولا أدري ماذا.. إلخ.. إلخ.. لم يكُن بوسعهم إعطائي إلا القليل في المرة الأولى! الموضوع غير مفهوم! ثم ما شأنهم هم بالأمر؟ هم أخذوا حقهم منذ البداية مع

تكاليف الطباعة، وما تبقى من النسخ المحددة لي هي من حقي أنا وحدي، أبيعها، آكلها، أقرأها كلها، أصنع منها سلال ورقية، أحولها سفنًا وطائرات من ورق، أتوسَّدها وألتحف بأوراقها.. أنا حُرَّة، لكنهم لم يُعطوني إلا القليل.

وعُدتُ لهم كذلك مرة ثالثة بعد حوارٍ صحفي أجري معي وكُنت قد ألمحت فيه إلى الصعوبات التي اعترضتني بهذا الصدد، فوافق هذه المرة على أن آخذ ٧٠ نسخة، وكانت تلك المرة الأخيرة التي ألتقي فيها بهم وجهًا لوجه.

obeikandl.com

(٢١)

كل هذا نسيناه، ومرَّ عام كامل، وأرسلت لهم طلبًا بحصر المبيعات من النسخ الخاصة بي والنسخ المُستردَّة، ولا حياة لمن تُنادي، ثم أرسلت بعدها دون جدوى، وبعد اكتمال مرور العامين (٢٤ شهرًا) وهو أقصى حد تتعاقد به فئة خاصة من دور النشر (الحقيقية، الراقية، السبع نجوم التي تُقدِّم خدمات إضافية للمؤلف، مثل دفع أكثر التكاليف وما إلى ذلك)، حاولت الاتصال بهم بلا طائل.

أخيرًا، وبعد انتشار أخبار عزمي الإقدام على طباعة كتاب جديد، خصوصًا وأن بعض الأصدقاء اللطفاء كانوا قد سألوني مؤخرًا، وتحديدًا بعد شيوع أخبار أمسيتي القصصية الأولى في البحرين، عما إذا كنت أنوي طباعة كتابي الجديد لدى نفس الجهة التي تعاملت معها من قبل، فأجبت بـ(نعم)، وكنت بالفعل عازمة على التعامل معهم حتى ذلك الحين، اتصلت بهم وهذه المرة أجاب الشخص المذكور، عندها طلبت منه عددًا من نسخ المجموعة لأنني بحاجة شديدة إليها، فأجابني بأن الظروف الآن (ملخبطة)، خصوصًا وأن مكتبهم غيَّر مقرَّه، ولأحاول الاتصال بعد يومين.

فوق اليومين وهبتهم أسبوعين، واتصلت مُجدّدًا، فقال لي إن جميع النسخ التي في مخازن البحرين قد نفدت، ولم يبقَ إلا النسخ

المعروضة للبيع على رفوف المكتبات، لهذا فقد اتصل بلبنان كي يُرسلوا نُسخًا من عندهم، وهو بانتظارها. فشكرته، وطلبت منه أن يتم تصفية حساب مجموعتي القصصية تمامًا، عندها سألني:

- إنتي ما تابعتين إصداراتنا الجديدة؟ عندنا مجموعة قصصية للقاص السعودي (.....)، والروائية السعودية اللي تسببت روايتها بمُشكلة (.....)؟

قلت في نفسي: (أعوذ بالله من المشاكل).. قبل أن أقول له:

- ما شاااااااااااااء الله.

عندها قال بنبرة توجس مُتسائلة:

- بس إنتي من عقب مجموعتش القصصية أشوفش وقَفتين!

قلتُ بحذر:

- لا، ما وقفت ولا شي.. بس الواحد أحيانًا تضطرَّه الظروف إنه يتأخر شوي.

- يعني!!..

- إي.. بس لا تنسى تصفية الحساب الله يخليك.

- لا لا.. أنا الحين بس عندي شغل في بلاد الشام، وإذا رجعت يصير خير. الحين أنا أكلمش من المطار.

- زين.. تروح وترجع بالسلامة.

وانتهى الحوار على حسن نية وأملٍ جديد، وقلت يا بنت الجماعة على سفر، هبيهم فوق الأسبوع أسبوعين، وفوقهما يومين...

obeikandl.com

وأثناء واحدةٍ من أمسيات مُلتقى الوعد الثقافي الأخيرة أبصرت الشخص المذكور داخلاً إلى دورة مياه الرجال في مركز "عبد الرحمن كانو" الثقافي برفقة شاعر سعودي، فأدركت أنه عاد من رحلته الميمونة! ثم اختفى عن مرأى البصر! فاتصلت بعدها بيومين مرة، ولم أتلقَّ ردًا، وبعد يومين آخرين اتصلت مرتين في يومٍ واحد، ولم أتلقَّ ردًا أو مُعاودة اتصال أو حتى رسالة، ويوم الخميس الموافق ١-٧-٢٠١٠م، اتصلت بين فترتي الصباح والظهيرة أربع مرات دون أن أتلقى ردًا، وبعد اتصالي الخامس اتصلت مرة سادسة لأجده قد أغلق هاتفه عن استقبال المُكالمات!

عندها ثارت ثائرتي، إذ بدا وكأن صمتي وتساهلي قد غدا بطاقة دعوة مفتوحة لاستغفالي وإهمالي وإهانتي، فأرسلت رسالة هاتفية قصيرةً أعلن فيها عن اضطراري لإخبار جميع أصدقائي من الكُتَّاب السعوديين بما حدث لي معهم طوال الفترة الماضية إن لم تتم تصفية حساب كتابي في غضون أسبوع واحد من ذاك التاريخ. في الثلث الأخير من الليل وصلني الرد على رسالتي الهاتفية قائلاً إن ليس هُناك أي تصفية قبل نهاية ٢٠١٠م!! وإن كان ما ذكرته في رسالتي تهديدًا، فلأكتب بيانًا وأنشره حيثما أريد! هكذا بكل صفاقة! وطبعًا حكاية نهاية الـ٢٠١٠م مُجرد تصريفة مُراوغة كرَّروها كثيرًا من قبل معي ومع غيري، كل عام يقولون نهاية هذا العام، وكل يومٍ يقولون غدًا، ويبدو أن غدي معهم لن يأتي أبدًا!

وسمعت مؤخَّرًا ممن يعرفون هذا الشَّخص جيدًا أن هُناك العديد من المؤلفين الذكور الذين لم يحصلوا على حقهم إلا بالشجار والتهديد، وبعضهم اضطر لتوسيط أشخاص آخرين، أما الفتيات، لا سيما السعوديات، فلا أظن أن إحداهن حصلت على شيء.

obeikandl.com

(٢٢)

ولأن الأدب جُـرأة، الأدب حُريــة، الأدب كلمــة حــق، الأدب صــوتٌ صريحٌ لا يجوز أن يُستهان بـه، فقد قررت عدم السكوت، وكانت نتيجة نشري حكايتي بحذافيرها وصول عددٍ كبير من الرسائل التي علمت منها ما لم أكن أعلمه من خبايا الخزي الثقافي، وسرقة المؤلفين وتزوير سندات البيع، وانتهاكات لحقوق الملكية الفكرية، والمزيد من الجُنح والجرائم التي ارتكبها مالك تلك المكتبة التي تدَّعي أنها دار نشر في حق المؤلفين دون أن يُعلِن عن ذلك أحدٌ عبر وسيلةٍ إعلاميةٍ واسعة الانتشار قبلي، إما خوفًا، أو جُبنًا، أو لأجل مصلحة أو حتى تكاسُلاً!

ولا أدري كيف يملك بعضنا الشجاعة على التحقير من شأن مضمون كتابٍ جُملة بعد جُملة، وتشويه سُمعة كاتب دون رقَّة جفنٍ لضمير، وحين يأتي الأمر إلى جهةٍ تنهب أموال المؤلفين محدودي الدخل، وتعتاش عليها دون خشيةٍ من حساب رب الأرباب، فإننا إما نختار الصمت، وإما نستعين بمبدأ (التقيّة) والتّورية والاختفاء وراء حُجّة ما يليق وما لا يليق طرحه إعلاميًّا؟!، وما يجوز وما لا يجوز الإفصاح عنه علنًا؟!!.. كيف نسمح لمصاص دماءٍ مُحترفٍ في قطاع الطباعة والنشر، يُتقن اختيار فرائسه البريئة المُبتدئة

بحذقٍ ومهارةٍ تتفوَّق آلاف المراحل على مهارته في إعداد كُتبهم للطباعة، أن يعيث في أرض الثقافة ويلتهم ما في جيوب أرباب الكُتب الناجحة من الشبان والشابات مُستعينًا في ذلك بصمت كبار الكُتَّاب الذين سبقوهم عنه؟!

وهكذا يُطبع الكتاب تلو الكتاب، من بريئةٍ إلى بريء، ومن عنوانٍ يجر أخيه إلى آخرٍ يسحب شقيقه، وتتعملق مغارة الفساد دون أن يدري بالغولة السَّمينة التي تُقهقه وراء بابها غير أولئك الذين ساقهم الطريق إليها فافترستهم، وقرمشَت عظامهم، ولم تشبع أو ترتو من كؤوس الدم.

كيف تسكُت أقلامنا عن الحق رُغم علمنا بأن (السّاكت عن الحق شيطانٌ أخرس)، وأننا بصمتنا نُغذي النفاق، ونُشبع الباطل، ونروي بجُبننا جُذور اللصوصية فنسمح لفروعها بالنمو والتمدد حتى تعتصر مشاعر وجيوب آخرين؟!.

(٢٣)

رُغم إيماني بضرورة ترفُّع الكاتب عن كل ما قد يرى البعض أنه مؤخرًا لتقدم اسمه، إلا أنني لم أستطِع الرضوخ لمُستقبلي الحتمي مع قرحة المعدة، والمُحتمل مع سرطان الدم ما لم أتحدث علنًا عن قضيتي تلك بالذات. ليس من السهل أن يرتدَّ المرء بفشلٍ مُفاجئ إلى ما قبل نُقطة صفر البداية بسبب ظُلمٍ مُفجع، وكلما كان عناؤك في إحراز النجاح أكبر، كان دمارك المعنوي أمام فشلٍ لم تتسبب به أكثر خطورة على مشاعرك ونفسك وصحتك وربما حياتك. ولستُ مُستعدة للموت غيظًا، بينما غيري ممن يهضمون حقوقي كل يومٍ يسرحون ويمرحون دون ذرّةٍ من وجع أو تأنيب ضمير، ليست لدي مخالب بكل أسف، لكن الله وهبني قلمًا أعلن به عن سعادتي وتعاستي، وأدافع به عن نفسي، ولن أكون جديرةً به ما لم أفعل، لستُ ذئبًا، لكنني اتخذت قرارًا باترًا بأنني لن أكون دجاجة مهما كان الثمن.

(٢٤)

لا أتصوَّر سلوكًا غبيًّا بوسعه أن يصل إلى مُستوى سلوك أولئك الذين يجرؤون على الإساءة لكاتبٍ مُفكِّرٍ بكلمة، أو استغفاله، أو هضم حقوقه، أو التَّعدي على خط أحمر في حياته، ناسين أو مُتناسين أن كلمة باترة من قلمه بوسعها إصابة سُمعتهم في مقتل، وقطع دابر مُستقبلهم إلى الأبد، لا سيما إن كان قلم هذا الكاتب يحظى بسُمعة موثوقة، وانتشار يستحق أن يُنظر إليه بعين الخشية من اندلاع الفضيحة، وامتداد صوتها من أقصى الخليج إلى أدنى المُحيط.

قد يكون الجهل هو القائد المُدبِّر لأقوال وأفعال أولئك الذين لا يُدركون مدى ضرورة اتقاء شر قلم أشد الكُتَّاب حلمًا إذا غضب، لكن ذاك الجهل على سذاجة تحركاته الطائشة لا يجوز أن يُنظر إليه بعين الشفقة، وإنما يجب أن توقظ غفلة المُبتلين به بكلمةٍ قادرةٍ على تهذيب اعوجاج فكرهم وردع إيذائهم لنُخبة أرباب الفكر الناصع في المُجتمع. وقد يصوِّر ذاك الجهل للمُبتلين به أن الكاتب أو المُثقف الذي تحرص سلوكياته الأدبية على العناية باسمه ومُستقبله في كل خطوة يخطوها أو حرفٍ ينطق به؛ هو فريسة سهلة للاستغلال الصارخ أو الاستهانة المهينة، واحترامه لأكبر

كبيرٍ وأصغر صغيرٍ من حوله، وقبله احترامه لنفسه، يجعل منه هدفًا لمطامع الطامعين وانتهاز الانتهازيين واستهتار المُستهترين، وسوء تهذيب الوقحين من المُتفشّين في المُجتمع عمومًا، سواءً كانوا من عامة الدَّابين على وجه الأرض، أو من المتسللين إلى الوسط الثقافي والدَّابقين فيه بأي حُجَّةٍ كانت.

في عهدٍ قريبٍ مضى من تاريخ الإنسان العربي، كُنا نسمع عن الصحفي الجسور، الذي لا يجرؤ لسان على التفوه بقبيح أمام سلطة قلمه، والكاتب الواثق الذي يحسب الناس لمحبرته ألف حسابٍ وحساب، فكان عهدًا سخيًّا بالكرامة المعنوية عليهما حتى وإن أعرض عنهما الرخاء المادي بين حينٍ وحين.
واليوم؛ في هذا العصر الساحق لكرامة الكاتب والمُثقف، غدونا بحاجةٍ إلى مثل تلك الشجاعة التي لا تخشى التمرد على تفاهة التافهين، ورفع مرآة الكلمات القادرة على فضح بشاعة الكائن البشري بداخلهم بين مشارق الأرض ومغاربها بصراحةٍ ناصعة، كي يراهم الناس على حقيقتهم التي قد يُتقنون تغطيتها بالغرابيل، حتى وإن ظل عماهُم هُم عاجزًا عن إبصار تلك الحقيقة.

مازال القلمُ مُتربِّعًا على عرش مكانته الكُبرى في الدفاع عن حامله ضد الإجحاف أو الإهانة، لكن تلك الطفرة المُتفاقمة في أعداد أولئك الذين يعتدون على حُرمة الكتابة بتسللهم إلى بلاطها المُقدس بأقلام غير مؤهَّلة لفتح فمها بحرفٍ على وجه صفحة، وأرواح يتقاسمها

الجُبن وانعدام النضج الفكري والأدبي، هي التي غذَّت جُرأة الجهلاء على الاستهتار بالكاتب الأصيل وإهمال احترامه، والتَّقليل من شأن ضرورة تقديره، لذا يجدُر بكل قلمٍ يُتقن فنون القتال بالتلميح، والمُبارزة بالتصريح أن يؤدي واجبه لمُكافحة من يظنون أن عهد جبروته قد أدركته الشيخوخة، وأن الساحة خالية أمام سرحهم ومرحهم العابث لينال من حق الكاتب أو يخدش حُرمة مكانته.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل التاسع

"وجود الصّيت قد يرفع نسبة التَّوفيق من واحد في المائة ليجعلها تسعًا وتسعين في المائة بقدرة قادر ، في حين بوسع غياب الصّيت أن يقلب الميزان رأسًا على عقب ،فيهوي بفُرصة نجاح التسعة والتسعين في المائة إلى حضيض الواحد في المائة!"

إبراهيم الكوني

رواية : من أنت أيها الملاك؟

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢٥)

أنا أكره أمريكا.. ليس لأسباب سياسية، فأنا – صدقوني– لا أحسن التفكير أو الحديث في شؤون كُرة القدم أو السياسة.. وإنما لأسباب إبداعية شخصية بحتة، أكرهها لأنها هي التي تمسك بخيوط تحريك لُعبة العولمة، ولأنها بذاك السلطان الخفي هي التي تسبَّبت في ترجيح كفَّة التفاهة على أرض بلادنا العربية المُستهلكة للسلوك، وصيَّرت الموهبة مجرد فائض عن حاجة الفرد والمُجتمع.

كل ما يأتي من أمريكا بلا طعم ولا لون ولا رائحة حقيقية، كل ما يولد منها هو كائن بلا أي ملامح، ومصانعها تكسوه ثوبًا ولونًا وصوتًا وطعمًا ورائحة بالمقاييس التي تقررها آلاتها الحاسبة ومُعادلاتها الرياضية السرطانية، حتى مقاييس النجاح في بلادنا صارت أمريكية، حتى الإنسان لم يعُد يراه الناس جذابًا إلا إذا خضع لمقاييس الجاذبية الأمريكية المصنوعة، في الشَّعر والثياب والعطر والكلام والجلوس والقيام، حتى الحب صار مسخًا من أمساخ ثقافة الهامبرجر، أمريكا هي تلك الغولة السمينة التي قال عنها نزار قبّاني رحمه الله: (ضد ثقافات البشر/ وهي بلا ثقافة/ ضد حضارات الحضر/ وهي بلا حضارة.. بناية عملاقة/ ليس لها حيطان).

فُقاعة هائلة بدأت تبتلعنا بمواهبنا وتحولنا إلى فاشلين مُحبَطين، في الوقت الذي تُحلِّق سياساتها التجارية المُقلَّدة بعديمي وعديمات الموهبة من أبناء أرضنا في فضاء سماواتنا، هي التي ابتكرت الخلطة السرية السريعة لصناعة مُغنيات بلا صوت مادُمن يمتلكن ثمن الإعلام والسيليكون، وروائيات بلا مُخيلة، وكاتبات بلا مخ، وشاعرات بلا شُعور، ما دامت تتولى تسويق قيء أقلامهن مؤسسات تتقن ألعاب التجارة الهامبرجرية، فصرنا نُعاني فقر دم ثقافي حاد يتوارى بين طيَّات شحوم الجهل في أجيال جديدة يصيبها التفكير بالإعياء، وصارت حياتنا بأكملها مُجرَّد وجبة سريعة قابلة للتخلص في أقرب مكبّ قُمامة!

لهذا كُنتُ أدرك أن خوضي تجربة النشر الورقي خلال فترة مقلوبة الموازين كالتي نجتازها أشبه بضرب من ضروب الجنون، كُنتُ أرى كُتبًا تُعتبر (تافهة) تتلقى ثناءً هائلاً لا يستحقَّه تدني مُستواها، تنتشر انتشارًا جماهيريًا هائلاً بفعل (شطارة) المُسوِّق، بينما تولد كُتب ثمينة وتموت على أرفف المكتبات دون أن يسمع بعنوانها أحد، وكان لابدَّ أن أكافح لإثبات وجود قلمي، ليس لأجلي فقط، وإنما لأجل فن الكتابة الأصيلة القائمة على أساس موهبة حقيقية وجُهدٍ جاد في وطننا العربي بأكمله، في عصر العولمة الكاسح الذي صبَّته أمريكا على أرضنا صبًا لم يعُد أمام الموهوب من جيلي غير أحد خيارين: إما أن يُنافس بوسائله التسويقية المُتاحة فيضان

الترويج الذي يدعم الأعمال التافهة كي يجد لنفسه مكانًا يدافع به عن حقيقة الأدب، وإما أن ينسحب منطويًا على ذاته مُشرعًا الطريق أمام طوفان السخف والفجاجة، وقد اخترت الخيار الأول دون تردد.

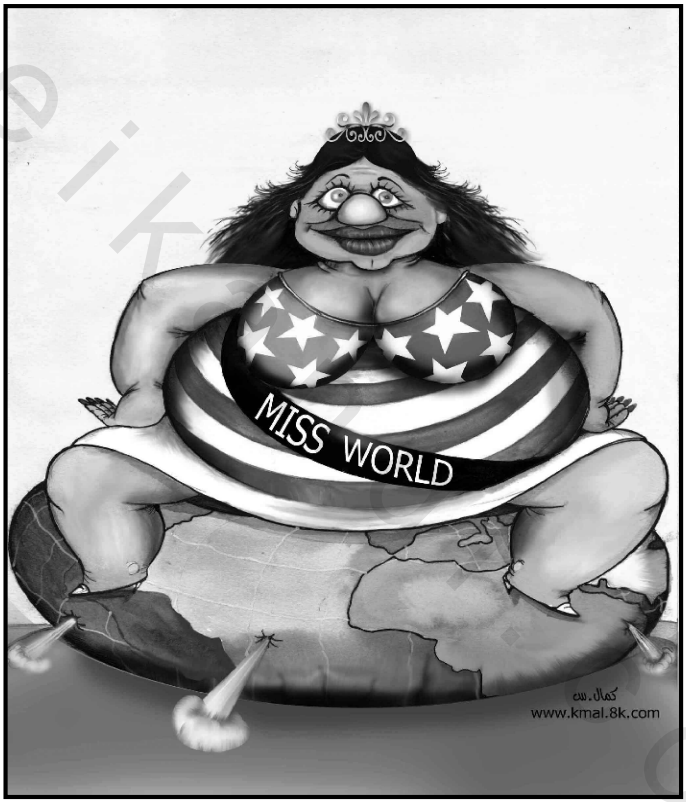

الغولة السَّمينة - MISS WORLD

بريشة الفنان السوري/ كمال سلمان

تُدير العالم بين أصابعها

برشة الفنان السوري/ كمال سلمان

(٢٦)

وبهذا فوجئت بتحدٍ من نوع آخر، يتمثل في رفض بعض الإخوة الكبار من الأدباء والكُتَّاب والنقاد لهذا الأسلوب، والحق أنه لا يسعنا لومهم على ذلك، فهم ينتمون إلى جيل يختلف في نظرته للكتاب والوسيلة الأمثل لتوزيعه من جيلنا الحاضر، لكن ما يُثير الحزن في النفس هو أن بعض الإخوة الكُبار أنفسهم، من كُتَّاب ونُقاد، يُثيرون ضجَّة احتفالية غير مفهومة لأجل إصدارات تُعاني من فقر دم أدبي حاد لأجل مُجاملات شخصية لبعض الأصدقاء أو أبناء الأصدقاء، بغرض حشرها في قائمة أكثر الكُتُب الإقليمية مبيعًا، الأمر الذي يُذكرني بما قاله مدير تحرير جريدة (أخبار الأدب) الكاتب عزت القمحاوي حين سُئِلَ عن رأيه بشأن تفشّي ظاهرة الكتب الأكثر مبيعًا/ الأفقر قيمة في الوطن العربي، خلال حوار أجراه (هشام بن الشّاوي) مع عدد من الكُتَّاب والمثقفين فقال:

"ويرجع الخلل والفوضى التي تعم الساحة العربية، حيث تختلط كتب البست سيلر مع الكتب الأدبية، إلى ثلاثة سلطات تتداخل فيما بينها: سلطة النقد، ولا يتورع القمحاوي عن اتهامها بالكسل والفساد، حيث المقالات التي هللت للروايات الأكثر مبيعًا، تجعلك تشك في وعي أو ضمير من كتبوها، لن تجد مثلاً كلمة عن اللغة،

هل هي روائية، هل هي جزء من المعمار الروائي؟ لن تجد شيئًا عن التلفيق في البناء النفسي للشخصية، أو البناء المعرفي الذي يتذبذب بين سطر وآخر، فلا تستطيع أن تعرف إن كانت هذه شخصية لأمي أم لمثقف مُطَّلع على الفكر العالمي".

هذا ما يحدُث حين يكتب الكاتب أو النَّاقد لأجل خاطر أسماء يُجاملها، لكن حين تصدر مجموعة قصصية لقاصّة شابة مغمورة يبزغ اسمها في الوسط القصصي للمرة الأولى، دون وساطات، ودون أن يُسبق اسمها باسمٍ أكبر يدفعه لأي سببٍ كان، فيتم تقطيع المجموعة وتبضيعها وعلكُها ومضغها، لإبداء أصغر سهواتها وعيوبها استخفافاً، وتجاوز كل مميزاتها ونقاط الجودة فيها، بدلاً من الكتابة عنها بموضوعية قادرة على تشجيع تلك القاصّة وإرشادها بمنهجية أدبية موضوعية في الوقت ذاته.

كل هذا بالنسبة لي لا يهم، لكن حين نكون – ناشئين ومُخضرمين – واعين بظروف هذه المعمعة الأدبية والنقدية، ومن ثم المعمعة التسويقية للإصدارات المطبوعة، فيجدُر بنا عدم مُحاولة الاستنقاص من مُحاولات الكاتب غير المدعوم بعلاقاتٍ عامة سابقة الإعلان عن نفسه وعن إصداره الجديد، فالكاتب والشاعر اليوم، حين يجد نفسه في خضم تلك الحروب العولمية الإعلامية الحديثة، يجدر به أن يكون مثلما قال نزار قباني: "لا ينتظر العالم كي يأتي إليه، بل عليه

أن يذهب إلى العالم. لا يستطيع الشاعر في هذا العصر، أن يبقى قاعدًا في خيمته كزُهير بن أبي سُلمى، ثم يبيض قصيدةً كل سنة".

ومن وُجهة نظري، أرى أن من العيب أن يُعاب على المؤلف في بلادنا نشر إعلان صدور كتابي، وهو مُنتجٌ ثقافي إبداعي يستحق الوصول إلى أيدي الناس وعقولهم، بينما لا يُعلن أحد أولئك الرافضين استياءه من كل ذاك الابتذال الإعلاني في ترويج القنوات الفضائية لأسطوانة مجموعةٍ من الأغاني التافهة ليل نهار!!

obeikandl.com

obeikandl.com

الفشل العاشر

"فأيّ مُتعةٍ خبيثةٍ يجدُها في ممارسة هذه المهنة التي تجعل منه عبدًا لتقلبات الأذواق والنماذج؟"

هنري تروبا

رواية ابنة الكاتب

* * *

"اللهم لا تجعل لي قلبًا"

عبد الرحمن مُنيف

رواية حين تركنا الجسر

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢٧)

يقول الروائي الليبي إبراهيم الكوني على صفحات رائعته الروائية (من أنتَ أيها الملاك؟):

"لا أريد أن أطعمك أوهامًا كما يفعل الكثيرون في مهنتنا هذه، ولكن اليقين أن فرصة التوفيق في قضيتك لن تزيد على الخمسين في المائة مهما استنجدت بالمنطق، ومهما استجرت بما تُسميه الحقيقة العارية، أما نسبة الإخفاق فلن تقل عن الخمسين في المائة أيضًا، أي أن الفرصة متساوية، كما ترى، مثلها مثل كُل مُغامرة!".

والكتابة هي الأخرى قضية كُبرى، ومُغامرةٌ هائلة لا شكَّ فيها، ولا يسعُنا أن نتوقع توفيقًا نقديًّا أو جماهيريًّا يتفوَّق على نسبة الخمسين بالمائة لأي إصدارٍ نخوض مُغامرة نشره مهما بذلنا أقصى ما بوسعنا لأجل إبرازه في أحسن مضمونٍ وأجمل صورة، لأنّ تباينُ الأفكار، والثقافات والأيديولوجيات والمبادئ والطبائع، فضلاً عن اختلاف الأمزجة بين ناقدٍ وآخر، وقارئ وآخر يجعل من اتفاقهم جميعًا على جودة عملٍ أو رداءته نتيجة مُستحيلة، ولو نقَّبنا في تاريخ الأدب لما أظنَّنا نجد إصدارًا واحدًا لم يُقابل باستهانةٍ أو هجوم مهما كثُر عدد المُصفقين له إيمانًا بجودته، بل إن بعض البشر قد واتته الجُرأة على نقد الكُتب السماوية ومُهاجمتها مضمونًا وأسلوبًا، الأمر الذي يجعل تلقي نص كُتب بيد البشر لهجومٍ بشري قضية من قضايا أرشيف المُسلَّمات.

وأكثر من يُدلون بآرائهم عن إصدار الكاتب ثلاث فئات من البشر:

أولاً: النقاد المُتخصصون:

لا بدَّ وأن يمتلك الناقد المُتخصص ثقافة شمولية عامة، وثقافة أدبية خاصة، ومهاراتٍ نقديةٍ تؤهله للتغلغل بين حروف النص وفواصله، وتحليله بموضوعيةٍ لا يُجانبها الكثير من العُمق والصواب، وهؤلاء عددهم قليلٌ جدًا في وطننا العربي، وأقل منهم أولئك الذين يهتمون بنقد نص أدبي لوجه الأدب وحده دون اعتباراتٍ شخصيةٍ أو مُجاملاتٍ رافدةٍ لعلاقاتهم العامة.

آراء هذا النَّوع من حاملي رسالة النقد تُقابل باهتمامٍ واحترامٍ شديدين من قِبلي ككاتبة، وأعتبر أن كُل كلمةٍ يكتُبها أحدُهم هي بمثابة نصيحة تستحق من قلمي أذنًا مُصغية، ومُطيعة في أكثر الأحيان، لكن في الجانب ذاته هُناك نُقَّاد يحتاج أسلوبهم النقدي إلى نقدٍ أدبي من جانبٍ مُعاكسٍ يقومه ويُسدد طريقه، لأنهم – على خبرتهم النقدية – يجهلون الطريقة اللفظية الصحيحة في تقديم النصيحة البناءة للنص وكاتبه دون تفريطٍ في الإشارة إلى إيجابياته، وإفراط في مُهاجمة السلبيات بطريقةٍ قادرةٍ على تعقيد نفسية الكاتب، وتدمير ثقته بنفسه، وتنفيره من الاستمرار في الكتابة، والتعقيد والتدمير والتنفير موهبة كبرى لا يُدركها إلا الراسخين في التجريح المُبطَّن، الذين يستطيعون بخمس كلماتٍ هدم ثقةٍ يصعُب هدمها بخمسين ألفَ صفحة كُتبت بيدٍ غير مُتمرسةٍ في الهدم حتى وإن كان عن حُسن نية.

يحكي الكاتب (يوسف معاطي) على صفحات كتابه (الفن وأهله) أن الناقد الفذ (رجاء النقاش) رحمه الله قد قال له مرةً:
"إذا اتَّهم ناقد مؤلفًا بأنه لا يعرف الكتابة، فهُناك احتمالان لا ثالث لهُما: إما أن تكون تعرف الكتابة وهو يظلمك، فلا تهتم. وإما أن تكون فعلاً لا تعرف الكتابة، وهذه ليس لها حل"..
ثم يُكمل (يوسف معاطي) مُعقبًا بقوله: "إنت كتبت خلاص.. ح تعمل إيه يعني؟!".

فالنّقد يجدُر به أن يكون مُسددًا، ومُقومًا، ومُشجعًا لصعود البدايات بنُضج لا إسقاطها، سواءً كان ذلك عن حُسن أو سوء نية، وحُسن النية مهما كان كبيرًا لا يشفع أبدًا للإيذاء، لأن نتيجة الإيذاء المعنوي تبقى (واقعًا) سواءً كان ذاك الإيذاء مُتعمَّدًا أم غير مُتعمَّد، والقتل الخطأ يتساوى مع القتل العمد في إفقادهما الإنسان حياته وعجز أي من مقترفيهما عن ردَّها إليه بعد فواتها.

وهُناك نُقَّاد آخرون يستهويهم قصف معنويات الكاتب عن سابق تصميم وتصور وسوء نية، وضحالة تهذيب وقصورٍ فاضح في الثقافة والشعور، هؤلاء هُم الذين وصفتهم الكاتبة (أحلام مُستغانمي) بأشخاص (يُمارسون النقد تعويضًا عن أشياء أخرى)، وهؤلاء لا يستحقون أكثر من التجاهُل الذي حرَّضت عليه على لسان بطل روايتها بقوله: "سيقول نُقَّاد يُمارسون النقد تعويضًا عن أشياء أخرى، إن هذا الكتاب ليس رواية، وإنما هذيان رجلٍ لا علم له

بمقاييس الأدب، أؤكِّد لهم مُسبقًا جهلي، واحتقاري لمقاييسهم، فلا مقياس عندي سوى مقياس الألم، ولا طموح لي سوى أن أدهشكِ أنتِ، وأن أبكيكِ أنتِ، لحظة تنتهين من قراءة هذا الكتاب".. فالشعور هو أساس الأدب، ومقياسه الأول، ثم تليه مقاييس النقد الفنية وما يُحرِّض عليه من تقنيات أدبيةٍ مُستمرة في التغير والتطور.

كما أن مقاييس النجاح الجماهيري – في حقيقة الأمر – ليس لها علاقة طردية مع رضا النقاد أو سخط أذواقهم على نص من النصوص، وقد تكون علاقة عكسية إلى حد كبير في كثيرٍ من الأحيان، الأمر الذي أجاد مجنون (عصفورية) الدكتور غازي القصيبي في الإشارة إليه بقوله: "هل تعرف يا حكيم، أن إحسان عبد القدوس مظلوم مع النقاد؟ والسبب؟ السبب أنه نجح جماهيريًا، وقد سبق أن أخبرتك أن هذا يحدث للشعراء، وأخبرك الآن، أنه يحدث للروائيين والكُتَّاب، ظاهرة معروفة في كل زمان ومكان، ظاهرة غير صحية، خذ مثلاً باربرا كارتلاند، سمعت عنها؟ لم تسمع؟ حسنًا! علم لا ينفع وجهالة لا تضر، هذه السيدة أنتجت حتى لحظة حديثنا ٦٥٩ رواية، تستغرب؟ راجع، إن شئت، كتاب (جينيس للأرقام القياسيّة)، ولكن من الأسهل أن تصدقني، أنتجت هذه الدردبيس الإنجليزية الأرستقراطية هذا العدد الهائل من الروايات الرومانسية التي تُرجمت إلى كل لغة، وبيع من كل رواية ملايين النسخ، ومع ذلك لا تقرأ عنها رواية نقدية واحدة، مؤامرة الصمت؟

شيء من الغيرة؟ قليل من الحسد؟ ربما! المهم أن إحسان عبد القدوس يستحق قسطًا أكبر من عناية النقاد، والأمر نفسه يَصدُق على يوسف السباعي، الذي كان موهوبًا رغم كونه ضابطًا، هاه! هاه! مجرد مداعبة بريئة، ألَّف رواية اسمها "السقا مات"، قرأتها ٧ مرات عندما كنتُ مرهقًا، وكنت أبكي كل مرة، واحدة من أفضل الروايات العربية، ومع ذلك مرَّت بهدوء لأن كاتبها يوسف السباعي".

وفي النهاية، لا ينبغي على الكاتب أن يحمل النقد كله على محمل الجد دون غربلةٍ، لأن ذلك خليقٌ بقتل كل حماسه الأدبي، وأكثر شهيته للكتابة، الأمر الذي يجعلني مؤمنة أشد الإيمان بعبارة الكاتب أحمد خالد توفيق التي تقول: "عندما تتزايد ملكة النقد لا يعود المرء قادرًا على كتابة حرفٍ واحد.. من المُفيد أن يكون الأديب على درجةٍ من السذاجة والغرور الطفولي وإلا لما كتَب حرفًا..".

ثانيًا: القُرَّاء المُحترفون:

وهؤلاء منهم المُتمرسون في ميدان الكتابة الأدبية الاحترافية، ومنهم المُبدعون في مجالاتٍ أخرى، ومنهم القرَّاء المُخضرمون الذين لا تعرفهم الأوساط الثقافية المُحاطة بالأضواء؛ ولكنهم يمتلكون ذائقة أنضجها إطلاعهم على مئات الكُتب، ولهذا يفصحون عن آراء قد تتفوَّق – بسلبيها وإيجابيها – على رأي الناقد المُختص أحيانًا، لأنهم يتحدثون عما أجاد فيه النص أو أخفق تحت سقفٍ مُعتدل من

الدافعية للجمال والإتقان دون أن يُدخلوا الكاتب في متاهاتٍ تُعقّده نفسيًّا، وتُعقّد قلَمَه معه.

ثالثًا: القُرَّاء المُنساقون والتَّائهون:

وهؤلاء هم السواد الأعظم من جمهور المُدلين بتعليقاتهم على مضمون أي كتاب يُكتب له سعة الانتشار في وطننا العربي، منهم الإمَّعة المُنساق لقراءة أي كتابٍ محفوفٍ بالتّطبيل والتَّزمير والإعلان التجاري المُكثف مهما بلغ من تفاهة المضمون والأسلوب، ومنهم من يُسارعون بحشر أصواتهم بين أفواج المُطبلين الهاتفين لصالح إصدارٍ دون قراءته، وجُل أرباح كتابات الفسق والتعري المُبالغ فيه والفجور الورقي الفاضح تتغذى من جيوب أولئك السذج من منطلق إيمان الكاتب أو الناشر بالمثل القائل: "رزق الهبل على المجانين"، وآراؤهم شديدة الخطورة على مُستقبل الأدب العربي، لأن أذواقهم المُراهقة تروِّج للعناوين التَّافهة بكثافة، ولا يفهمون من اللغة المقروءة إلا أرذلها وأشدَّها ابتذالاً، يُذكرني هذا النوع من القراء دومًا بمشهد (كلّمونا بالهجايص) الذي دار بين كل من الفنان المرحوم "أحمد زكي" والممثل "سعيد صالح" على خشبة مسرحية (العيال كِبرت)، وجماعة "كلام الهجايص" هؤلاء تَقْلِب موازين الجودة والرداءة بتفضيلها قراءة روايات (الهجايص) على النصوص الأدبية الرصينة، أو التي تحترم نفسها على أقل تقدير. وقد توسوس لهم أنفسهم بأنهم من نُخبة القراء، فتدفعهم للجرأة في

مُهاجمة الإصدارات التي لا تُساعدهم مواهبهم الفكرية الضعيفة على فهم مضمونها حتى وإن فهمها سِواهم من القراء الذواقين. لكن جهلهم يبقى عُذرًا لهُم، مُذكِّرًا بحكمة الشِّعر على لسان (الخليل بن أحمد الفراهيدي) حين أنشد:

لو كُنتَ تعلم ما أقول عذرتني أو كُنتَ تعلم ما تقولُ عذلتُكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني وعلمتُ أنَّكَ جاهلٌ فعذرتُكا

السيئ في هذا السياق أن بعض الكُتَّاب الواهمين يتعمَّدون الابتذال المُبالغ فيه بحُجَّة مُسايرة عقلية القارئ!، ناسين أو مُتناسين أو جاهلين أن الكتابة الأدبية تولد للارتقاء بذوق القارئ ورفع مستواه، وليس الانحطاط بذاك الذوق وقيادته لمزيدٍ من الإسفاف، وإلا فلماذا لا نكتفي بطباعة كُتُب بيضاء الصفحات لمُجاراة عقليات الأميين أيضًا؟!.

رابعًا: المرضى النفسيون والحاقدون:

أما هؤلاء فعددهم يُنافس أعداد القمل والذباب على الأرض، يكشفون عن أنفسهم بكلماتٍ موغلةٍ في سُخريتها، وإهاناتٍ لشخص الكاتب نفسه، ومُحاولاتٍ مكشوفةٍ لإسقاط الكتاب وإلغاء شأنه بأسلوب يُفشي جهلهم بمضمون الكتاب وعدم اطلاعهم عليه أصلاً!، ومن الصعب أن يُلام أمثالهم على نشاطاتهم اللفظية السامة، لأنها وليدة أمراض وعُقد نفسية ناجمة عن عدم ثقةٍ بالنفس، وحقدٍ عام على

النـاجحين، وعجـزٍ عـن إدراك ركـب النجـاح، وفـراغ روحـي لا يجـد الطريق إلى إشباع نفسه، إنـهم مساكين يحتـاجون العلاج ويـستحقون الشفقة، تُذكرني كل صدفةٍ تجعلني هدفًا لأمثـالهم ببطـل روايـة (حين تركنا الجسر) لـ(عبد الرحمن مُنيف) حين قـال: "سـألت نفسي: مـاذا أريـد مـن هـذه المخلوقـات البذيئـة؟ أجبـتُ بثقـة: لـو كانـت جـديرةً بالرصاص الذي يُطلق عليها لما ظل واحدُ منها حيًّا".

وأولئك المرضى ليسوا فقط غير مُستحقين لكلماتنا أو التفاتنا، وإنمـا أقل شأنًا حتى من الدقائق التي قد ننفقها في التفكير بتفاهاتهم.

obeikandl.com

الفشل الحادي عشر

"أغلقوا الأبواب - هكذا صرخ البؤساء-
فالأصليون يُقدِّمون استقالتهم من هذا العالم،
والمُصلحون يغسلون أيديهم، براءةً من بني البشر
الذين لم يعرفوا أنشودة الوفاء الخالدة - الخُرافيَّة
طبعًا- طوال حياتهم!!

الأديب والصحفي/ محمد الماجد

oberkandl.com

obeikandl.com

(٢٨)

الكتابة هي أمُّ الغالبية العظمى من الفنون الحديثة، لأن كل فن يعتمد على الكلمة المسموعة أو المرئية لابدَّ وأن ينطلق منها وبعدها، ولطالما كان للكاتب والمؤلف مكانتهما الرفيعة التي تُشبه التبجيل منذ قديم العصور...

يقول الكاتب والسيناريست المصري الساخر (يوسف معاطي) في كتابه (الفن وأهله) متحدثًا عن أحوال الكتاب والكتابة في مصر القديمة تحت حكم الفراعنة :

"وبدأنا نتحسس في ظلمات التاريخ بشعاع من الضوء، وبدأ الكاتب في مصر يصبح له شأن عظيم.. وصارت مهنته الأولى بين جميع المهن.. وهي المربحة أكثر من أي مهنة أخرى، وكان الكاتب في مصر القديمة يكسب أضعاف ما تكسبه أكبر راقصة في مصر المعاصرة الآن، في لوح واحد يكتبه ولا في لقَّة بردي.. وكان الأب يشجِّع ابنه: (كُن كاتبًا كي تنعم أعضاؤك وتصير يداك لينة وتسير في ثياب بيضاء فيعجب بك الناس ويحييك رجال البلاط).. وكان الأمراء والكبراء في مصر القديمة يقلدون الكاتب في جلسة القرفصاء الشهيرة في تماثيلهم.. شوفوا التماحيك! حيث كانت هذه الجلسة المتربعة من دلائل الشرف، بل إن بعض ملوك الفراعنة

ظهر بعضهم في صورة وهو يحمل أدوات الكتابة، الدّواة والريشة، اعترافًا منهم بأهمية الثقافة والمثقّفين".

وبقي المؤلف يحظى باحترام يليق بموهبته لبضع عشرات من أعوام القرن العشرين، حين كانت الطبقة التي تمسك بزمام السيادة في المجتمع تمتاز بشخصية معجونة بروح الفن والاهتمام بالثقافة، قبل أن تفاجئنا طفرة التفاهة بجيل لا يُقدِّر قيمة القراءة ولا يعبأ بالثقافة، وظروف تكاد تحوِّل الكاتب الموهوب إلى مخلوق فائض عن حاجة مجتمعات الوطن العربي، وبعد أن كانت دور النشر العربية تدفع له حقوق نشر أعماله قبل نشرها، ويتعامل معه القائمين عليها بتقدير واحترام يؤكِّد إيمانهم بندرة أمثاله، صارت دور النشر تطالبه هي بإفراغ جيبه لدفع تكاليف الطباعة والشحن والتوزيع، وتعامله كل ذلك معاملة تملأ نفسه بشعور (عزيز قوم ذل)!، بعد أن كانت الدنيا كلها تنحني توقيرًا للكاتب، كما يؤكِّد (يوسف معاطي) في كتابه مرَّة أخرى ويقول:

"وكانت الدنيا كلها تحت قدمي الكاتب المصري، وعلى البرديات القديمة جملة للكاتب يقولون له فيها: (إن عبارة من شفتيك تكتبها أثقل وزنًا من ثلاثة أرطال).. وكان خليقًا بالكاتب المصري أن يغترَّ وأن ينفش ريشه، فلم تكن قد ظهرت بعد تلك العبارات اللطيفة التي يسمعها كُتَّاب هذه الأيام: (بتكتب إيه يا بابا، ابقى قابلني لو فلحت،

وكمان حاطط لي صورة جنب المقال، وعايش لي في الدور حتعمل لي فيها كاتب؟!)".

أما الكاتب الساخر (محمود السعدني) فيتحدث في الجزء الأول من مذكراته الشهيرة بأسلوبه اللاذع عن دور بعض الوصوليين من أرباب الأقلام غير الموهوبة في الصحافة ومواطن الكتابة خلال فترة منتصف القرن العشرين قائلاً:

"ولكن أعجب وأغرب الشخصيات في جريدة (.....) لم تكن من بين المحررين، ولكنها شخصيات كانت تلعب دورًا رئيسيًا من وراء ستار وتتحكم في الجريدة وتحريرها وسياستها، وتوجهها إلى حيث تريد،أول هذه الشخصيات كان يدعى إلياس وكان مسؤول الحسابات والمالية في الجريدة، وكان يمت بصلة قرابة لصاحب الامتياز، وسلطاته كانت مطلقة، ورغباته كانت أوامر، وعقليَّته كانت أتفه من عقليَّة حمار. والرَّجل الآخر كان اسمه مسعود وكانت وظيفته الرسمية سائق سيارة صاحب الجريدة، ومن خلال هذه العلاقة التي تربطه بصاحب رأس المال، استطاع أن يفرض نفسه على جميع المحررين وأن يسهر معهم، ووعد بعضهم بعلاوات، وهدد البعض الآخر بالفصل، ونجح في لعبته فكان يتلقى الهدايا، وينشر صورته في باب المجتمع ويحرر في باب بريد القرّاء!"..

ثمّ يُكمل حديثه في مكان آخر من المذكرات عن أحد المنتمين إلى الفئة ذاتها - واسمه (عبد العاطي)- بقوله:

"ولكن كيف دخل عبد العاطي، لا أحد يدري.. كانت مهمة عبد العاطي تلقي المكالمات التليفونية من مراسلي الجريدة، ولكن عبد العاطي كان طموحًا إلى أقصى حد، وطموحه الشديد للغاية لم يكن يصل أبدًا إلى الحد الذي وصل إليه بالفعل، فقد راح يهمس باسم أحد ضباط المخابرات على أنه صديقه الأوحد، وأحيانًا كان يطلبه بالتليفون، وأحيانًا أخرى كان يرسل بعض التقارير إليه على مرأى ومسمع من الآخرين، وكان عبد العاطي حتى هذه اللحظة محتقرًا من الجميع، فلما شاعت قصته وذاعت، وعرف الجميع نبأ العلاقة التي بين عبد العاطي وضابط المخابرات العامة؛ ابتسمت له الوجوه التي كانت دائمًا عابسة، وضحكت الأفواه التي كانت دائمًا مطبقة، وامتدت إليه الأيدي التي كانت دائمًا منكمشة وممسكة، واستشرى عبد العاطي كالسرطان في أنحاء الدار، يدفع المحرر؛ أي محرر؛ بكتفه أو يلزقه من باب الهزار، ويتلطَّع عند أبواب المكاتب ويسترق السمع كلما وجد أكثر من ثلاثة في اجتماع.

واختفى عبد العاطي سنوات طويلة، ثم التقيت به مصادفة.. ويا له من لقاء! اكتشفت أن مكتبي قد انفصلت أحد قوائمه فأرسلت في طلب نجار، وعندما جاء النجار اكتشفت أنه عبد العاطي نفسه! كان يرتدي بنطلونًا وقميصًا وقد أرسل ذقنه، ودبَّ الشيب في رأسه وقفز عمره عشرات الأعوام دفعة واحدة! وجلس يحكي لي في مرارة عن كفاحه وصراعه في الحياة، ولكنه لم يكن قد فقد الأمل

نهائيًا في العودة إلى الصحافة.. (سأعود إليها بعد أن تنصلح الأحوال!)، ولم أفهم أي أحوال كان يقصدها عبد العاطي.

وقبل أن ينصرف دعاني إلى زيارته في الدكان، واكتشفت عند الزيارة أنه لا يزال يعيش في الماضي، مقالاته معلَّقة على الجدران وصورته على غلاف المجلة تتصدَّر المحل وتحتها عبارة (الصبر مفتاح الفرج)، وقدَّمني لزملائه في محل النجارة.. (لفندي كان زميلي في الصحافة، عشان تصدَّقوا يا ولاد الهرمة!) وصاح عامل كان منهمكًا في نشر لوح خشب: والنَّبي تتلقح وتسكت، وقال عامل آخر: ما تريحنا يا أخي وتروح الصحافة بتاعتك، وهزَّ عبد العاطي رأسه وقال في وقار: بإذن الله بس لما تزول الأسباب! وعندما سأله عامل عجوز: والسبب إيه إن شاء الله؟ ردّ عبد العاطي على الفور: خلاف سياسي من غير مؤاخذة!

تصوَّروا! هذا الحمار الذي لا يعرف الفرق بين الخيارة والحمارة! ثم غاب عبد العاطي بعد ذلك فلم أره إلا منذ عام، كنت أجلس ذات ليلة على رصيف الدمياطي في الجيزة وكانت ليلة حارة ورطبة تكاد تكتم الأنفاس، ومدَّ رجل شديد القذارة لحوح بدرجة مزعجة يده، فمددت يدي أنا الآخر ووضعت في يده شيئًا لله! ولكن اليد ظلَّت ممدودة والشخص القذر ظلَّ مكانه لا يتحرَّك على الإطلاق، وعندما نظرت في وجهه اكتشفت أنه عبد العاطي! وأن يده ليست ممدودة من أجل قرش ولكن يده ممدودة من أجل السلام، وصافحت عبد

العاطي وجلست معه حتى الصباح، لقد فشل في كل المهن، الفول والنجارة وحتى فشل كطباخ! ذهنه لا يجيد العمل.. فلم يعد أمامه إلا عرق الجبين والسواعد والأقدام، ولقد تدحرج عبد العاطي في النهاية ليستقر في سفح الحياة كشيَّال في محطة الترولي باص! أية مأساة عنيفة هي حياة عبد العاطي، فلقد خُلِق عبد العاطي فعلاً لمهنة شيَّال، فإذا به – بسبب بعض الأوضاع المقلوبة – يتحوَّل إلى صحافي شهير ولكن لعدة أعوام، لقد كان من الطبيعي أن يكون عبد العاطي شيالاً، وكان من المنطقي أن يظل شيالاً من الميلاد حتى الممات، فهذه هي كل مواهبه في الحياة، ولكنه انقلب صحفيًا شهيرًا بعض الوقت.. وهذه هي المأساة!".

إلى هنا ينتهي حديث الأستاذ (محمود السعدني) لأعود أنا بقولي: الفن والأدب موهبة أولاً وثانيًا، واجتهاد ومثابرة ثالثًا ورابعًا وعاشرًا، ومن الظلم كل الظلم لأرباب المواهب والاجتهاد أن نقدِّم عليهم من لا يُغطي كسلهم وانعدام موهبتهم سوى تعلقهم بأذيال معرفة (زيد) أو علاقتهم ب(عمرو) ليس أكثر، فهذا البلاط الثقافي الجليل أيها السادة لم يعد يحتمل مزيدًا من التدنيس والتفاهة.

(٢٩)

كثيرةٌ هي الأسباب المُحرِّضة للمُبدع في وطننا العربي على الاعتزال، ولا أعني بالاعتزال هُنا عُزلة (البرج العاجي) الشهيرة بين مفاهيم المُجتمع الأدبي، وإنما أعني الرضا بالتخلي عن مُستقبله والتنازل عن تاريخه بأكمله في هذا المجال بقرارٍ حاسمٍ لا رجعة فيه وحُكمٍ لا يقبل الاستئناف، فكتلة الأحاسيس والمشاعر المُرهفة التي تسير على قدمين بين عامة الناس ليس لروحها وقود في الحياة غير التغذي على الأحلام وما يُرافقها من أمل، مهما كان شحيحًا، فإن فقدت بقايا مُدَّخرها من الأمل تبخَّرت مقدرتها على الحلم، وتبخَّرت معها شهيَّته لرسم ملامح تلك الحياة التي تصبو إليها روحه، وكلما كان المُبدع نزيهًا مؤمنًا بمعاني الحق والفضيلة، والجمال والعواقب الأخلاقية، وما يجب وما لا يجب أن تكون عليه البشرية، كانت صدمته ببشاعات العالم قادرةً على إصابة إيمانه بجدوى ثقافته وحرفته الإبداعية في مقتلٍ لا حياة بعده.

قد ينجح في مُقاومة رغبته بحزم أمتعته المعنوية والرحيل إلى الأبد مرات كثيرة، ولوقتٍ طويل، لكن محدودية مقدرته البشرية على الصمود قد تبلغ حدَّها الأخير أمام صدمة أو موقف أو ضغوطات تُضخِّم من يأسه وإحساسه بلا جدوى دوره في هذا المجال،

فيتساءل بما يُشبه اليأس: "ولكن.. ما جدوى كل ذلك؟ ما جدوى أن استمر في مُحاربة طواحين الفساد والبشاعة والوضاعة أعزل بطاقة معنوية تُشارف على النفاد ثم لا يكون المجد إلا للتفاهة، والنصر للسخف، والتمدد للإسفاف؟!

ما جدوى أن أفني بقية أيامي بحثًا عن عالمٍ مثالي لا يأمل الإقامة في أحضانه بين من أعرفهم سواي؟!

ما جدوى السير في طريقٍ يكاد يدفع عقلي للجنون، ويُرشِّح جسدي للتضور تحت وطأة آلام قرحة المعدة، وارتفاع ضغط الدم، والسكتة القلبية، والجلطة الدماغية، دون ثمنٍ يستحق هذا الموت الذي يلتهم بقاياي بالتقسيط المُيسر؟.

ما جدوى استمرار كدحي اليومي المُتواصل لإعالة فن يرفض حتى حمايتي بينما لا يبخل بكثيره على من يُقدِّمون مصالح تُخمة جيوبهم على مصالحه، ولا يُضيرهم التضحية به ولا يؤمنون بمبدأ أو يحكمهم نداء ضمير؟

ما الذي جنيته من هذا الشَّغف المُتعب غير قبضة من هباء وضربات موجعة من عناء؟ إلى متى سأحتمل انتصارات الجُبن والنفاق والانحلال على كل ما كنت أظنه صوابًا؟ إلى متى سأبقى مُنساقًا وراء قيَم تؤكد لي عفونة الواقع أنها محض خُرافة لا تعيش إلا في سماوات الملائكة؟ لماذا أكدح وأكدح وأكدح في سبيل حريتي ثم لا يكون مصيري بعد ذلك غير الخضوع لأقدار العبيد؟!

وما دمت في كلتا الحالتين لن أحصل على شيء فلماذا لا أترك كل هذا العناء ورائي وأستريح؟ أليس من الخير لي وقاية ما تبقَّى من صحتي قبل أن أبلغ بهما مرحلة الإفلاس ثم الموت؟"

عندها لا يبقى غير صمام أمانٍ واحد، يتمثل بالأصدقاء المُشجعين المُحبين الداعمين بصدق ومحبة وحرارة، الذين يؤمنون بالمبادئ ذاتها، ولا يعيشون لأجل أنانية ذواتهم وحدها، بل لأجل العالم بأسره.. وكم أنا محظوظة بكثيرٍ من هؤلاء الأعزاء.

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا.. لم يكُن فشلاً !

الضوء لاح فديت ضوءك في السواحل يا منامة
فوق الخليج أراكِ زاهية الملامح كابتسامة
المرفأُ الغافي وهمتُه يُهنئ بالسلامة
ونداءَ مئذنة مضوَّأةٍ ترفرف كالحمامة
يا موطني! ذا زورقي أوفى عليك فخذ زمامه

الشاعر السعودي الأصل بحريني النشأة:

غازي عبد الرحمن القصيبي

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣٠)

لا شيء بوسعه أن يجعلك قادرًا على غُفران خطايا الكون بأكمله تجاهك مثل قصة حُب كبيرة، وعلاقتي بالبحرين كانت أجمل قصة حب عشتها طوال ما مضى من حياتي.

يقولون إن من تجرَّع جُرعة من ماء النيل فلا بدَّ وأن يرجع إليه ثانية، وأنا أقول إن من ملأ رئتيه بنفحة من أنسام هواء البحرين أو حتى غُبارها، فلا بدَّ.. لابدَّ.. لا بُدَّ وأن يرتدَّ عائدًا إليها ثانية وثالثة وسابعة وعاشرة. وحتى أولئك الذين تدَّعي أفواههم عكس ذلك ستجد أفعالهم تؤمِّن على تلك الحقيقة وتنم عنها بفصاحة.

لا شك أنني أحب موطني الأم بكل تأكيد، وهو أمرٌ لا يقبل المُقارنة أو المُزايدات، وإذا كانت البحرين هي المسقط الثاني لرأس القلب، فإن السعودية هي مسقط رأسه الأول دون مُنازع، لكنني في الوقت ذاته أعجز عن ذُكران جميل البيئة البحرينية المشحونة بالتفاعُل، والطيبة والأصالة وصفاتٌ كثيرة يتصاعد إيماني بها يومًا بعد آخر، وتجربة بعد أخرى، هُناك للبحر رائحة مُختلفة، ولأرواح الناس – على تبايُنها – تركيبة مُختلفة، وللغيوم والرياح والأمطار شكلٌ مُختلف، وهُناك للثقافة بفنونها وآدابها مذاقٌ مُختلف، وإذا كان الشاعر نزار قباني قد قال مرة: "لندن حررتني من عُقدي"، فإني

أقرُّ وأعترف بقولي: "البحرين حررتني من أكثر عُقدي، وحقَّقت أكثر أحلامي، وأكَّدت لي إنسانيتي".

أذكُر جيدًا كيف أنني شعرت بالارتباك في بدايات مُحاولاتي للتكيف مع البيئة البحرينية المُغايرة إلى حد كبير للبيئة التي وُلدتُ وتربيتُ اجتماعيًّا على أرضها، شعرتُ في تلك الفترة أنني أسير على أرضية حياةٍ افتراضية حالمة بداخل التلفاز، وليس على أرض الواقع. إذ كُنتُ أرى الناس يعيشون ويضحكون ويأكلون ويمشون ويتحدثون، مثلما تُصوِّرهم المُسلسلات البحرينية التي تشبَّعتُ بمُشاهدتها أوقات طفولتي، ليست هُناك ازدواجية في وجه الحياة الواقعية والتلفازية هُناك، على عكس الحياة في البيئة التي سبق اعتيادي عليها.
باختصار؛ اكتشفتُ أن الحياة في المُدن البحرينية ليست وعدًا غير قابلٍ للتحقق بالنسبة للإناث كحياتي السابقة، ومن هُنا كفَّت ثقتي بنفسي عن الضمور، وبدأ أملي بالمُستقبل يتبرعم في أعماقي.

إنه بلدٌ جميلٌ جدًا، وصغيرٌ جدًا، وعريقٌ جدًا، ومُسالمٌ جدًا. توالت عليه الحضارات بدءًا بـ(دلمون ٢٨٠٠ق.م -٣٢٣ق.م)، مرورًا بـ (تايلوس ٣٢٣ق.م -٢٠٠م)، (أوال حتى عام ٦٣٠م)، ثم (المرحلة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي ٦٣-٧٥٠م)، و(العصر العباسي ٧٥٠- ١٢٥٨م) الذي تعاقب على حكم البحرين في عهده الثاني حُكم (الزَنج ٨٦٢-٨٨٣م) و(القرامطة ٨٩٩-١٠٧٧م)

و(العيونيّون١٠٧٧-١٢٣٢م) و(حكم السلغريين في أوال ١٢٣٨-١٢٥٣م) ثم دولتا بني عامر بن ربيعة: (العصفوريون والجبور ١٢٥٣- ١٥٢١م)، حتى تصل أخيرًا إلى تاريخها الحديث الذي شهد فترة من بسط النفوذ البريطاني على الأراضي البحرينية، قبل أن يُعلن استقلالها عام ١٩٧١م.

ولا شك أن توالي كل تلك الحضارات والدول والدويلات، ثم اجتياز الفكر الأوروبي الحديث مُتمثلاً في النفوذ البريطاني على الأراضي البحرينية، أورثها خصوبة فكرية واجتماعية وإنسانية ذات طابع لا يُستهان بقيمته.

كانت أرض دلمون بمثابة الفردوس وموئل الخلود بالنسبة للسومريين، وتقول الأساطير السومرية إن البطل جلجاميش شدَّ الرحال إلى دلمون للحصول على (زهرة الحياة) المخبوءة في قاع بحرها، سعيًا منه لحياةٍ أبدية لا تفنى، ولهذا وصفت ملحمة جلجاميش البابلية تلك الأرض بقولها: "ومقدس بلد دلمون، بلد دلمون مقدس، بلد دلمون نقي، بلد دلمون مغمور بالنور، متميز بالإشعا....".

وقد كشفت الأبحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية أن تلك الجزيرة قد ألهبت مُخيلة الشعراء في تلك العصور، كما كان للفن مكانته التي خلَّدت صورًا منه على الأختام الأثرية المُكتشفة، الأمر الذي يؤكِّد عراقة ميراثها في هذين المجالين.

يقول الباحث البحريني علي أكبر بو شهري في كتاب التاريخ القديم للبحرين والخليج العربي مُشيرًا إلى الموطن الأم لتعليم الكتابة في العهد السومري:

"وأدرجت دلمون في أساطير الرافدين بأنها أرض الحياة الأبدية، وأنها المُلتقى المُفضل للإلاهات، زارها البطل جلجاميش في بحثه عن الحياة الخالدة، وتُشير النقوش إلى أن السومريين جاؤوا في الأصل من أرض دلمون ومن هُنا تعلموا علم الكتابة".

من زاويةٍ أخرى؛ يوضح الباحث علي أكبر بوشهري أحد أكثر الجوانب جاذبية في عقيدة الخلود الدلمونية قائلاً:

"سكان دلمون كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة، إلا أن الجانب الجذاب في العقيدة الدلمونية هو أن أهم الآلهة عندهم كانت امرأة وهي إلهة الخلود". ويمضي إلى القول: "ومعظم الرموز الموجودة على أختام دلمون يرمز إلى إلهة الخلود".[١٣]

وفي العصر الحاضر نُلاحظ امتدادًا واضحًا لاحترام المرأة في البحرين، إذ نرى أن قوانين الدولة تكفل للمرأة حقوقها الإنسانية والمعنوية إلى أقصى الحدود، فلا إكراه على الحجاب، ولا عضل في قوانين الارتباط والزواج، ولا حرمان من العمل في أي مجال، ولا منع من قيادة سيارة أو حافلة أو درَّاجة أو حتى ركوب خيل، ولم يكُن بوسعي غير أن أمتلئ انبهارًا وأنا أرى مؤسسات الدولة

ومؤسسات المُجتمع المدني تستميتُ جُهدًا وتستقطب الخبرات الخارجية للاستفادة من تجاربها في تمكين المرأة من بلوغ مقاعد مجلس النواب، كي تواكب الدولة عجلة تطوَّر تلك الدول في هذا المجال، في الوقت الذي نرى فيه دولاً وممالك أخرى تستغل تخلف المُجتمع وتُجنده بخُبثٍ لئيم لحرمان المرأة من أبسط حقوقها، وتُنفق جُهدها في تأخير كل ما قد يُساعد المرأة على استنشاق نفسين أو ثلاثة من أنفاس الحُرية والحياة، وجديرٌ بالذكر أن المُجتمع البحريني –ولاسيما مُجتمع المُدن من وجهة نظري– قد حقق مُعادلته المُستحيلة حين تمكَّن من الجمع بين الانفتاح الإنساني والفكري، والمُحافظة على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والعادات الخليجية الأصيلة في الوقت ذاته، دون أن يكون مُجبرًا على ذلك.

تلك الحُرية الإنسانية التي كفلتها القوانين للمرأة في البحرين مكَّنتني من تنفس الحياة الواقعية والحُرية الثقافية الصحية دون شعورٍ بالمُطاردة، وحققت لي أجمل أحلامي في هذا السياق. في البحرين تمكَّنتُ من دخول قاعة عرض سينمائية ومُشاهدة فيلم على شاشته الكبيرة للمرة الأولى في حياتي، وفي البحرين تمكَّنت من حضور عرض مسرحيةٍ حية لأول مرةٍ في حياتي، وفي البحرين حضرت عروضًا فنية متنوعة قادمة من بلادٍ غير عربية مثل أمريكا وتُركيا للمرة الأولى في حياتي، وفي البحرين كذلك حققت حُلم حياتي بحضور أمسية شعرية للشاعر المُبدع (عبد الرحمن رفيع)،

فضلاً عن عددٍ كبيرٍ من الأمسيات الثقافية المُتنوّعة بين شعرية وقصصية ونقدية، ومُناقشات فنية ودرامية، وزُرت عددًا من المتاحف والمعارض التشكيلية والفوتوغرافية. باختصار؛ البحرين أشبعتني ثقافة تفاعلية حية.

من جانبٍ آخر، ليس من الممكن أن نتوقع نمو شخصية وقلم قاص أو روائي أو مسرحي في شرنقة مُصفَّحة ضدَّ الاختلاط بين المثقفين من الذكور والإناث. الغالبية العُظمى من المُثقفين ثقافة حقيقية في الخليج العربي يُدركون تلك الحقيقة تمام الإدراك، لكن القليل منهم فقط يعترف بها شفهيًا أمام أبصار ومسامع عامة الناس ممن لا يمتلكون وعيًّا اجتماعيًّا وثقافيًّا يؤهلهم لإدراك مدى ضرورة هذا الأمر.

يقول الكاتب البحريني حسن مدن على صفحات سيرته الذاتية المعنونة بعنوان (ترميم الذاكرة) في سياق حديثه عن أثر الاختلاط على نُضج شخصيته الإنسانية والأدبية أثناء إقامته في مصر للدراسة خلال سبعينيات القرن العشرين:

"الجو الاجتماعي المُنفتح الناجم عن الاختلاط بين الجنسين في الأنشطة وفي الفعاليات والندوات حررنا من الكثير من الخجل ومن العُقد الاجتماعية والنفسية، حين تنشأ علاقات صحية ذات طابع أخوي ورفاقي تكسر الكثير من الحواجز والقيود، وكان هذا المناخ المُنفتح بعيدًا عن الاعتبارات الاجتماعية الصارمة في البحرين يجعل الجو آسرًا وجذَّابًا".

من حُسن الحظ أن هذا الجو الاجتماعي المُلائم لنُضج الشخصية الأدبية والفنية قد انتقل إلى البحرين بفعل تطورها الحضاري والاجتماعي المُتسارع، الأمر الذي ساعدني كثيرًا على اكتشاف ذاتي بشكلٍ أفضل، وحررني من عشرات العُقد الاجتماعية والنفسية التي حوَّلتها تربيتي الصارمة السابقة في بيئتي الأولى إلى عقبة تُعيق نمو شخصيتي على أكثر من صعيد.

وإذا شئنا المزيد من الصدق؛ فلا بدَّ وأن نعترف بالمشيئة الإلهية التي تجعل نصف المُجتمع الذي لا ينتمي لفصيلة تاء التأنيث ونون النسوة هو المُهيمن على زمام نقاط السلطة الحقيقية والقيادة الفاعلة حتى في الأوساط الثقافية، ومن دون دعم التشجيع المعنوي والدعم الإعلامي الذي يُقدمه هذا النصف من المُجتمع حين يشاء فلن يقتنع المجتمع بأكمله بموهبة الكاتبة وبحقيقة مقدرتها على الإنجاز، ولن يفتح لها بابًا أو يُفسح لها طريقًا للنجاح مهما أفنت نفسها في الاجتهاد.

كما أن القبوع داخل أربعة جُدران في بيتٍ صامت؛ لا يؤهِّل قلم القاصّة أو الروائية لكتابة أعمال تتجاوز تكرارها المُمل لمُذكراتها الشخصية وسيرتها الذاتية في ثوب رواية، الأمر الذي لا يؤهِّل اسمها لنجاح حقيقي في هذا المضمار، وهو ما كُنتُ أعانيه بشدة خلال تلك السنوات التي تبخَّرت في فضاء اللاجدوى، حين أجبرتني الظروف الاجتماعية في بيئتي الأم على الاحتباس بين جُدران حياةٍ

لا تتمتع بأدنى قدرٍ من حركة الواقع الحي، ثم إن الانطلاقة الإبداعية الجادة، القائمة على رؤية وتخطيط وسابق تصميم وتصور للمُستقبل الأدبي أو الفني الذي يرغب المُبدع بالوصول إليه ذات يوم، كثيرًا ما تتطلب منه الارتباط بمكانٍ أقدر على مُساعدته في بلوغ هدفه، لهذا نجد تاريخ الإبداع على اختلاف صوره يحكي عن هجرة المُبدعين من مُختلف بقاع الأرض إلى بلادٍ أخرى بحثًا عن بيئة أكثر خصوبة لنمو مواهبهم وصقلها بالدراسة والتدريب والاختلاط بأوساطٍ أكثر خبرة في المجال ذاته من جهة، والتسريع بانتشارهم الإعلامي من جهةٍ أخرى.

هُناك من يختارون أمريكا، وهُناك من يختارون أوروبا وعلى رأسها باريس، وهُناك من يختارون بلادًا عربية كمصر على سبيل المثال، هذا بالإضافة إلى أن السفر، والسياحة في أرض الله الواسعة عمومًا، من أهم روافد إلهام المُبدع وتغذية روحه، وامتزاج تجربته بتجربة أقرانه في البلاد الشقيقة والصديقة، على عكس ما يورثه القعود سنين فيْ مغارةٍ واحدةٍ نائيةٍ لا يتعدَّاها، وفي هذا يقول الشاعر أبو تمَّام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق

لديباجتيه.. فاغترب تتجدّدِ

فإني رأيتُ الشّمسَ زيدَت محبةً

إلى النّاس أن ليست عليهم بسرمدِ

وشاء الله تعالى أن أكون محظوظة بفُرصة الانطلاق في هذا المجال من بلدٍ كالبحرين، يُمكن للمرء أن يلتقي في فعالية ثقافية من فعالياته الكُبرى بعددٍ من المُثقفين والمُبدعين الخليجيين في مُختلف المجالات، ومن أغلب دول مجلس التعاون الخليجي، ويتعرف إليهم دون تعقيداتٍ كبيرة.

وإذا كان للسعودية السبق الإعلامي بأول حوارين صحفيين مقروءين أجراهُما كل من الصحفي: (عبد الله الرفاعي)، والصحفي: (جعفر الصفّار)، فإن للبحرين السبق في نشر مقالاتي مُرفقة بصورتي ككاتبة على صفحات صحيفة (الوطن البحرينية)، والسبق في ضم اسمي للاستطلاعات التفاعُلية مع نُخبةٍ من المُثقفين البحرينيين مشفوعة بصورتي على صفحات صحيفة (البلاد البحرينية)، وأكثر الناس في البحرين مُعتادون على نشر الصور، على عكس المُجتمع السعودي الذي مازال أكثره ينظر لنشر صور الإناث – وإن كُنَّ من مشاهير المثقَّفات – عبر وسيلةٍ إعلامية كفضيحةٍ تستحق أن تلوكها ألسُن الجُهلاء والمُتخلفين، وكان لبرنامج (إصدارات بحرينية) السبق في إجراء أوَّل لقاءٍ إذاعي مُطوَّل معي (من إعداد المُعِد الإذاعي التونسي/ سليم بو دبّوس)، بعد أن سبقه برنامج (البحرين كُل مساء) في إجراء أوَّل لقاءٍ إذاعي قصير (أجراه مندوب الإذاعة البحريني/ محمود البنخليل)، كما كان لـ(مركز كرزكان الثقافي والرياضي) في البحرين السبق في أوَّل أمسية قصصية لي في تاريخي الأدبي.

لا يسعُني أن أقول بأنّ النّاس كلّهم في البحرين ملائكة، فمثلما التقيت بأشخاص لُطفاء ذوي أرواح أدبيّة أصيلة، وضمائر إنسانيّة حيّة، صادفتُ في طريقي هُناك عددًا من الاستغلاليين، والأنانيين، والحاسدين، والتّافهين، وعديمي الضّمير.

لكنّ عدد أولئك الطيّبين من المُبدعين الحقيقيين يتفوّق أضعافًا كثيرةً على عدد الذين يرضون لأنفسهم بأن يكونوا عقبةً في طريق نجاح الآخرين. ورُبّما كُنتُ أنا شخصيًا محظوظةً بالظّروف التي افتتحت علاقاتي الطيّبة بأشخاصٍ يستحقّون شرف المعرفة، وشرف الاحترام، مثلما كُنت محظوظة بأن أنال تلك الفرصة التي نالها قبلي الأديب الدّكتور غازي القصيبي رحمه الله، والفنّان عبد المحسن النّمر، وراشد الماجد.

ولا يسعني في الختام غير أن أردّد صدى صوت بطل رواية (ذاكرة الجسد) حين قال:

" هُناك أناسٌ وُلدوا هكذا على جسرٍ مُعلّق. جاؤوا إلى العالم بين رصيفين وطريقين وقارّتين. وُلدوا وسط مجرى الرّياح المُضادّة، وكبروا وهُم يُحاولون أن يُصالحوا بين الأضداد داخلهُم. رُبّما كُنتُ من هؤلاء.."

صورة من أمسيتي القصصيّة الأولى/ مملكة البحرين [١٤]

على يسار القاص البحريني (عبد العزيز الموسوي) والسّعودي(حسن البطران)

- بعدسة المصوّر البحريني/ جاسم مرضي.

obeikandl.com

obeikandl.com

من أجمل ذكريات حياتي

واقفة إلى جوار كلّ من:
الأستاذة الشّاعرة (ليلى السيّد)، والأستاذ الشّاعر والنّاقد (عبد الجبّار علي)، والشّاعرة الإعلاميّة (هنادي الجودر) أثناء تولّي مهمّة تقديم المُتسابقين في أمسية الإلقاء الشعري/ مهرجان كرزكان الثّقافي الثّالث

الأوّل من مايو ٢٠١٠م

- بعدسة القاص والإعلامي البحريني/ عبد العزيز الموسوي

الوطن السنة 5/ العدد 1619/ الاثنين 3 جمادى الآخر 1431هـ/ Mon 17 May 2010 — 12 — culture@alwatannews.net ثقافة

أمام القنديل
حوارات في الكتابة الرّوائيّة

كتبت - زينب البحراني:

تتطلب كتابة النص الأدبيّ عموماً والرّواية على وجه الخصوص، قدراً كبيراً من الثّقافة الشموليّة، والخيال الخصب، والتّجربة الاجتماعيّة، ومقدرة فريدة على التقاط أدقّ مشاعر النّفس البشريّة، ومُعايشة همومها الإنسانيّة الكبيرة والصّغيرة، فضلاً عن مُتابعة كلّ طارئ على حياة المُجتمع العام وسلوكه، وعدم إهمال الاطّلاع على كلّ ما يُمكن مُتابعته من جديد التّجارب الرّوائيّة، والمؤلّفات المهتمّة برفد صناعة الرّواية، من خلال تحليل أبعادها المعنويّة، وتقنياتها السّرديّة المُختلفة.

ومن نُخبة الكُتب العربيّة التي اطّلعت عليها في هذا المجال كتاب (أمام القنديل) حوارات في الكتابة الرّوائيّة للناقد البحرينيّ فهد حسين.

ومع إبحاري في الصّفحات الأولى من الكتاب، تذكّرت على الفور كتاب ورشة السّيناريو (نزوة القصّ المُباركة) للرّوائيّ الكولومبي الشّهير (غابرييل غارسكيا ماركيز)، إذ اتّخذ كلاهُما أسلوب الحلقة النّقاشيّة التي يدور الحوار فيها بين مجموعة من الكُتّاب الذين ينتمي كلّ منهم إلى ثقافة بيئيّة مُختلفة، ويتمتّع بتجربة أدبيّة، ربما تكون مُشابهة أو مُغايرة لتجربة زميله في حلقة النّقاش ذاتها. وإذا كان كتاب (نزوة القصّ المُباركة) ولد من تفريغ مُباشر لحلقة نقاشيّة واقعيّة، فإننا نواجه ذكاءً بارزاً في تفعيل الحوار بين الرّوائيين المُختارين على صفحات (أمام القنديل)- رُغم الظّروف التي لم تسمح بغير الاتّصال البريديّ الفرديّ مع كلّ منهم- ليبرز الكتاب بعيداً عن نمطيّة الإصدارات التي تكتفي بنشر الحوار المُجرى مع كلّ أديب بمُفرده على حدة، وفي شكل أكثر جدوى وفائدة للقارئ، بوقايته تركيز المُتلقّي من التّشتت عن هدف الكتاب الرّئيسي، وهو مُناقشة التّجربة الرّوائيّة على وجه الخصوص. مُتخذاً الحوار مع الكاتب الرّوائيّ وسيلة لا غاية، وهو ما أكّد عليه المؤلّف بقوله "ويتساءل البعض، لمَ التّحاور مع الرّوائيّ إذا كان الهدف الرّئيسيّ هو النّص نفسه والمُنجز الإبداعيّ؟ ونقول إنّنا هُنا لا نأخذ الكاتب بوصفه مادّة للدّراسة والحوار والتّحليل، بقدر ما نقف على التّجربة والثّقافة والمفاهيم وسيرة العمل التي أهّلته ليُبدع عملاً أطلق عليه رواية أو نصاً سردياً.

إنّنا نقف على الكاتب بوصفه سُلطة مُهمّة لها الدّور الفاعل في الكتابة والتّكوين الإبداعي للمُنجز نفسه، وسُلطة لها تمركزها الأساس في القص الذي يُبدعه، سواء أكان راوياً أم شاهداً خارج النّص، وكذلك بوصفه قارئاً لعمله ومُنتجه قبل الإنجاز وبعده..... ص41" اهتمّ الكتاب بمُناقشة قضيّة الكتابة الرّوائية في ستّة محاور، حيث أتى المحور الأوّل ليتناول المدخل العام لفهم الرّواية، سُلطة المؤلّف والتمركز حول النّص. أمّا المحور الثّاني فيتناول تقنيات الرّواية ومكوّناتها، والمكوّن السّردي. ويتناول المحور الثّالث اللغة وكتابة الرّواية، وسُلطة البوح اللغوي.

أمّا صوت المرأة في الرّواية، والنّسويّة والصّوت النّسوي فكان من نصيب المحور الرّابع، وأخذ المحور الخامس المحليّة والتّراث في الرّواية. وأخيراً دار المحور السّادس حول الرّؤية والتّأمّل، بالإضافة إلى المُنجز الإبداعيّ والرّؤية. كلّ هذا في مجموعة أسئلة وصلت إلى ثمانية وأربعين سؤالاً، ساهم في الإجابة عليها تسعة من كتّاب الرّواية في الوطن العربيّ هم: القاصّة والرّوائيّة الأردنيّة سميحة خريس، والقاصّة والرّوائيّة الجزائريّة فضيلة الفاروق، والقاصّة والرّوائيّة العُمانيّة جوخة الحارثي، والقاص والرّوائيّ البحريني عبد الله خليفة، والقاص والرّوائيّ البحريني فريد رمضان، والقاص والرّوائيّ الكويتي حمد الحمد، والقاص والرّوائيّ السّوداني أحمد الملك، والقاص الرّوائيّ العراقيّ الدّكتور محسن الرّملي، والقاص والرّوائي السّعودي ناصر الجاسم. ولم يُغفل المؤلّف الإشارة إلى تلك الرّغبة المُلحّة في أن يشمل العمل بعض الرّوائيين العرب من اليمن ومصر والمغرب وتونس وسوريا وفلسطين، ولكنّ ظروفاً حالت دون ذلك. هذا الكتاب الذي يعرض على صفحاته أجزاءً من خلاصات التّجارب الإبداعيّة بكلّ ما وراءها من مخزون ثقافيّ وفنّي ومعرفيّ لأولئك الرّوائيين، يختصر على القارئ - سواء كان كاتبًا يُزمع خوض التّجربة الرّوائيّة، أو روائياً ينوي الإيغال في مساحات أبعد وأعمق مما سبق له خوضه في عالم الرّواية- عُمراً طويلاً وجُهداً جزيلاً كان سيستغرقه في البحث والتّجريب، ويهبه فرصة التّعلّم ممن سبقوا رحلة قلمه في خوض التّجربة الرّوائيّة أو واكبوها. فيقدّم لقلمه بذلك فُرصة البدء من حيث وصلت تلك التّجارب أو انتهت، مُتجاوزاً بعض العقبات الفنيّة التي اضطرّت أقلامهم للمرور بها أثناء مرحلة من التّجريب. فاطّلاع القارئ على تجربة تسعة روائيين بمستويات مختلفة في نوع الثّقافة والإحساس والذّخيرة المعرفيّة والتجربة الإبداعيّة يجعله يحظى بنظرة تُساعيّة الأبعاد لمفهوم الكتابة الرّوائيّة، نظرًا لتنوّع تلك التّجارب، وتباين وجهات النّظر بين كاتب وآخر في كلّ محور من محاور النّقاش. وحتى حين صادف اتّخاذ إجابات بعض الرّوائيين منحى آخر في فهم الأسئلة المطروحة (كما أشار المؤلّف ص42) ؛ فإنّ ذاك الفهم المُغاير لمضمون السّؤال أضاف منحى جديداً للموضوع الذي بين يدي البحث والتّساؤل، وأضاء نواحي أخرى أضافت قيمة أغنى لحلقة النّقاش الافتراضيّة وفائدة أكبر للقارئ.

ورُغم أنّ الكتاب أعدّ لأجل قارئ مُنتخب، غير أنّ الجُهد الواضح في إعداد صيغته السّهلة المُمتنعة تؤهّل كلّ قاصّ أو روائيّ مُبتدئ يملك حدّاً معقولاً من النّضج الأدبيّ لقراءته واستيعابه، مُحفّزاً تأمّل القارئ على التّفكير في قضايا خطرت له أو لم تخطر على ذهنه من قبل، أثناء مُحاولته الفرديّة للإجابة عن الأسئلة المطروحة في الكتاب، أو أثناء تأمّله لإجابات الرّوائيين المُشاركين ومناقشته الذّهنيّة. وبهذا يكتشف مع كلّ محور من محاور النّقاش بين الرّوائيين أنّه مهما كبُرت التّجربة الإبداعيّة وطالت واتّسعت للكاتب الرّوائيّ، فإنّه يبقى تلميذاً في مدرسة الرّواية بكلّ ما تتطلّبه من ثقافة مُتجدّدة وذخيرة معرفيّة راسخة وتجربة إنسانيّة حيّة، وإحساس أدبيّ مُرهف. (أمام القنديل)، كتاب يستحق وقوف كلّ روائيّ وناقد عند مضمونه كتجربة لا تكتفي بتحليل نصّ أو مجموعة نصوص لكاتب بعينه، وإنّما تحلل عوامل إنجاز الكتابة الرّوائيّة عموماً، مُقدّمة بذلك كنوزها لأيّ قارئ روائيّ دون استثناء، وهو بهذا إضافة جديدة تحتاج المكتبة العربيّة لمثلها الكثير.

زينب البحراني

فهد حسين

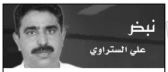

بين السياسة والثقافة

الكثير من الأسئلة التي تتعلق بواقع المرء على مستوى الثقافة والسياسة في ظل المجتمعات الإنسانية تتمحور عبر رسالات عدة، ولكل رسالة قدم متصل بخيط سياسي تفرضه عليه حركة المجتمعات.

والكثير من المثقفين لا يرون العمل الثقافي بعيداً عن السياسة لإيمانهم بأن المرء لا يمكنه أن يتحدث عن المجتمعات من واقع ثقافي صرف دون معرفة واقعهم السياسي في ظل حركة اجتماعية واعية. والسياسة التي أقصدها ليست تلك المتخندقة في الشعارات (غالب ومغلوب)، وليست سياسة المنافسات على كراسي البرلمان، ولكنها سياسة المجتمعات، كيف تعيش في ظل تسابق محموم على توفير لقمة العيش والبحث عن مصادر جديدة للثروة والسباق التكنولوجي العالي، عبر سوق تتحمل كل هذه الروح المتنافسة.

وما حجم البطالة التي يقاس حجمها بحجم عدد الطلاب والطالبات المتخرجين من الجامعات على مستوى العالم وليست على مستوى محدود، وما هي الحلول التي وضعها الخبراء للتقليل من حجم هذه البطالة.

بعض هذه المجتمعات في الدول الغنية درست هذه الظاهرة ولازالت تدرسها بعناية واضعة لها الحلول الناجعة، فترى هذه الدول لا تعاني من البطالة والمجاعة مثلها مثل دول العالم الثالث وبالخصوص الدول الإفريقية، التي يغلب على مجتمعها طابع سياسة الحروب الطاحنة، والنهب والتشرد، والمنافسات الحزبية على عدد الكراسي.

هذه الدول كيف يكون حالها في المجتمعات المثقفة، القارئة للكتاب والباحثة عن المعرفة، لاشك أنها مجتمعات وإن وجدت فيها الثقافة فهي ثقافة المقهورين والشاردين عن الصخب السياسي المتصارع، فأي مجتمع يحب الثقافة لا أعتقد يكره السياسة، لأن السياسة والثقافة في اعتقادي تعيشان في جراب واحد وإن اختلفت موازين القلبين.

فثقافة الكتب تعني لكل مجتمع قارئ التبصر في عوالم المجتمعات الأخرى، وما تحمله من حضارة أدبية وفنية راقية. فكيف لسياسة تعيش واقع انتصارها دون الارتكاز على أدوات الفن التي منبعها الثقافة والفنون الراقية؟.

وكيف للمرء المشتغل في السياسة أن يقنع شريحة من الجمهور ببرنامج عمله السياسي وهو بعيد عن ركب الثقافة وعن معرفة رموزها، فليس كل من قال أنا سياسي قادر على إقناع الجمهور ببرنامج عمله، إن لم يكن هذا المرء عارفاً بالأدب وبالتاريخ والفنون، وتقلبات الوضع الاقتصادي في سوق الأموال، لأن الإلمام بجميع المعارف تعطي كل سياسي مغامر صورة واقعية تقدمه نحو الإيمان بمشروعه، ودون ذلك فهو سياسي ضعيف يحتاج لزمن طويل في لملمة أعضاء جسده حتى يصل لباب المعرفة.

---

veritities@albiladpress.com
البلاد 20
العدد 656
الأحد 20 شعبان 1431
1 أغسطس 2010
نون

احتراف القاص يجعل منه أكثر من ديكور...

فيزيائية المجريات في المكان تحوله إلى سيكولوجي

البلاد هدير البقالي

يتزلق الروائي- القاص- الكاتب بين منعطفات ذاكرته، ومذكراته التي يدونها بين الحين والآخر، في أوراقه وذهنه، والأجمل من هذا وذاك في دهاليز المكان، الذي قد يصطاد منه بعض الأفكار التي تغذي حكاياته، وتستلكه على صفات الشخصية التي قد يصيرها وفق ما يراه، فقد يسيء لها، يشوهها، أو يجعلها تبدو منحرفة عن صبغة الواقع، فمنا حقه، والأدهى من ذلك أنه يتخذ المكان لتبيان البيئة المنتمية لها تلك الشخصيات، من واقع المكان، مستخدماً أدواته الفنية كثيمة للتعبير التجريدي للنسق العام، لكنه لا ينسى أن يتقمص كل أرض في المكان الذي يتجول فيه، في تجواله...

إذاً، ما المكان؟ ما الذي يجبر الروائي بذات سبر سيرته من هذا البيت، أو ذاك البناء المعماري الذي يبدو كالثوب المهترئ، لما يتقهقر لبضع أزمنة إلى الوراء؟ لماذا يشتم رائحة غائبة من هذا المكان، كل هذا وأكثر... نون البلاد ارتأت أن تتطرق في حديثها مع الروائية زينب البحراني، والقاص أيمن جعفر حول جدالية المكان، وتعدد صوره المثيرة في كل مرة.

• زينب البحراني

• أيمن جعفر

• ن: لماذا بات المكان من المسلمات التي تلتقي في أي صورة من الصور؟

البحراني: لأنه لا يوجد حدث يُمكنه أن يقع دون مكان! والنص القصصي أو الروائي الذي يُركز موضوعه غالباً في (الحدث) الذي يحدث في مكان، هذا إن لم يدر الموضوع بأكمله حول (المكان) نفسه كثيمة رئيسيّة ومكوّن قصصي وروائي جوهري لا يُمكن الاستغناء عنه، بل وحتى (اللا مكان) في النّص الأدبيّ الطلائعي هو مكان بحدّ ذاته.

وهنا أستحضر مقولة باشلار: "في بعض الأحيان نعتقد أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين إن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان والذي يود حتى في الماضي حين يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن. إن المكان، في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفاً. هذه هي وظيفة المكان".

البحراني: نعم يحدث ذلك في سياق بعض الأعمال الروائية التي أعتبرها ضعيفة، فالمؤلف هو المسؤول عن تفعيل دور المكان بأفضل طريقة ممكنة، وحين تتزالق خيوط الوصف وتفيض عن المخيلة بحيث تزج بأي جنس في قفص جنس آخر دون حساب دقيق، يتحول دور المكان في أحيان كثيرة إلى عامل مُبالغ في دوره.

جعفر: نعم، فما دام المكان يُنتج علاقات تبادلية بين الذكورة والأنوثة فإنه لا شك يؤدي إلى ذلك، مع مراعاة أن هذا التوجه في صالح العلاقة بالمكان طبعاً.

البحراني: السّرد، والحبكة، والمشكلة، والحل، تتجلّى في (الحدث) أكثر من تجليّها في (المكان) الذي يتّحد مع الزمان للتأكيد على دلالات نفسيّة واجتماعيّة وفلسفيّة عميقة.

جعفر: لا، في المفهوم التقليدي هو هذا، لكن المفهوم الحديث يقترح رؤية استكشافية لخلق المكاني داخل النص، رؤية تصبّر علاقة جزئية لا تتقف عندها وإنما تتجاوزها وصولاً إلى رؤية كلية تدرس المكان في علاقته بالنص ومن ثم انزياحاته الدلالية.

أوّل النّجاح .. وآخره

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}

سورة الضّحى، الآية ١١

obeikandl.com

obeikandl.com

رعايةُ الله.. ومُعادلة النَّجاح

مهما كان المرء موهوبًا، واثقًا، ذائع الصّيت، مُدجّجًا بحماية الأهل والأصحاب ومودّة المُعجبين،غارقًا في بركات الأرض.. ومهما بلغ من حدود القوّة الماديّة والمعنويّة كإنسان، يبقى بكلّ قوّته محكومًا برحمة ومشيئة السّماء، عاجزًا عن التقدّم خطوةً في طريق النّجاح دون معونة القوّة الإلهيّة العُظمى ومددها السّخي. فلا حول ولا قوّة أخرى بوسعها أن تقيك شرّ الذين يُضمرون لك الضّغينة والعداوة دون سبب تعرفه، والذين يُكرّسون وقتهم وجُهد ألسنتهم لنبش أسرارك والتهام جُثّتك في غيبتك، وضرب جمال صورتك أمام أبصار من يُحسنون الظّن بك وفي مخيّلتهم بأبشع بُهتان، والذين يتوهّمون في طيبتك فريسة طيّعة لاستغلالهم، والذين يرون في نجاحك تحدّيًا مُزعجًا لفشلهم، و أخطر المُفاجآت التي يكفي انقضاض واحدة منها لمحو اسمك، وقصم ظهر حاضرك، وإجهاض مُستقبلك غير قوّة الله التي توّلت مهمّة حماية الأنبياء.

وأعتقد اعتقادًا عميقًا بأنّ الأديب أو الفنّان هما الأكثر إدراكًا لمعنى مقولة: " إنَّ طريق الحياة وعرٌ وشاقٌ بدون مُساعدة الدِّين والفنّ والحُب" التي جاءت على لسان إحدى شخصيّات مسرحيّة (كاليجولا) للأديب الفرنسيّ ألبير كامو، لأنّ أحاسيسهما المُرهفة لا يسعها أن

تجد لأنفاسها مرفأً على غير ضفاف الأمل النّاجم عن الإيمان بوجود قُدرةٍ إلهيّة عُليا لا تتخلّى عن الواثقين بها، والحلم الذي يفيض به انعدام حدود مساحات الفن والثّقافة الرّوحيّة، ومقدرة الحب على جعل الرّوح مُلقّحة ضدّ الإحساس بالألم.

غير أنّ الافتقار إلى فُرصة التمتّع بالفن، أو نعمة الحبِّ قد يعوّضه الأمل برحمة القدرة الإلهيّة لتُخفف من الألم النّاجم عن أوجاع الحياة، لكنّ الافتقار إلى الإيمان يملأ المرء بوحشة نفسيّة داخليّة تتمخّض عنها مشاعر الوحدة، والضّعف، والعجز عن إكمال مسيرة النّجاح بروحٍ عزلاء أمام أسوأ مُباغتات الأيّام.

وهو ما عبّر عنه (لاري إيه. تومبسون)؛ المُنتج الشّهير لأفلام هوليوود ومُدير أعمال أكثر من مائتي نجم سينمائي بقوله: " في رحلة حياتك مع الموهبة، والإصرار، والفريق، والحظ يجب أن تُحافظ على التّوازن بين الصّحة، والحب، والمال، والدّين. فإذا خسرت الصّحة فلديك الحبّ والدّين، وإذا خسرت الحبّ فلديك المال والصّحة، وإذا خسرت المال فلديك الصحّة والحبّ والدّين؛ ولكن حينما تخسر الدّين تكون قد خسرت كلّ شيء".

تلك هي مُعادلة النّجاح.. وهي مُعادلة تستحقّ جُهدًا عمليًا ونفسيًّا هائلاً كي تتمخّض عن نتائج قيّمة، وحذرًا كافيًا يُدرك أنّ الخطِر في النّجاح يكمن في إمكانيّة انقلابه على الإنسان فشلاً، والتّقهقر بحياته إلى أسوأ مما كانت عليه قبل أن يتلذّذ بمذاقه.

وكلّ ذاك الجهد الهائل يحتاج إلى مرفأ دافئ رؤوف، حنون الجانب، موثوق الرّحمة، مُستعدًا للإنصات إلى بُكائك وأحزانك وتداعيات انكساراتك النّفسيّة، مؤتمنًا على أسرارك التي لو علمها سواه غدوت بين يدي نظرات الشّفقة أو الاشمئزاز، يمتلك قُدرة مُطلقةً لا شكّ فيها على قلب عُسر أحوالك إلى يُسرٍ مهما ضاقت وبدَت مُستحيلة الحل على أيّ مخلوق، مُشرعًا أبواب عطفه بالغُفران أمام خطاياك التي لا يغفر الأدنى منها سواه ليستقبل عودتك إليه بترحابٍ في كلّ مرّة..

ووحدها العظمة الإلهيّة بكلّ ما تُسبغه على المُتقرّبين إليها من هالات الإبهار، والمهابة، والجاذبيّة السريّة، والمظهر المريح النّابع من أعماق الرّاحة النّفسيّة، ومحبّة الآخرين التي كثيرًا ما يجهلون سرّها تجاه هذا الشّخص بالذّات، وحدها القادرة على صُنع النّجاح، وحمايته من كيد الحاسدين، وإذكاء جذوة اشتعاله، و رفع اسم حامله من سماءٍ إلى سماء.

ولا يسعُني أنا، أمة الله الفقيرةُ إليه، غير أن أقرّ وأعترف، خاضعةً صاغرةً مُستكينة، بأنّ مُعجزة انطلاقي من أحد أشدّ الأنفاق الاجتماعيّة ظلامًا، حيث لا بصيص أملٍ بالحُريّة، كانت بفضل ربِّ العالمين وحده لا شريك له. مُنقذ ذا النّون من ظلام بطن الحوت، الذي استجاب لي دُعاء ما يربو على عقدٍ كاملٍ من البُكاء، وأنقذني

أخيرًا من مصير تحوّلي إلى تُرابٍ من الكَمَد دون أن يسمع باسمي سامع.

فله كلّ الشّكر، وكلّ الحمد، وكلّ الثّناء، وكلّ التّسبيح والعرفان، والإيمان المُطلق بلا محدوديّة قُدرته العُظمى، حتّى الرّمق الأخير من حياتي.

obeikandl.com

البداية

" الجنون له بداية،

أمّا نهايته فلا يعرفها أحد!"

عبد الرّحمن منيف

رواية : حين تركنا الجسر

obeikandl.com

obeikandl.com

باقة شُكرٍ أخيرة

لوالدي ووالدتي اللذين أحبَّاني كثيرًا ..

ولجميع أصدقائي الذين دعموني معنويًّا ودفعوني ووقفوا معي وقفة شهامةٍ حقيقيّة دون رجاءٍ لجزاءٍ أو شُكر..

والأصدقاء القلائل الذين أنصتوا لي وصدّقوني قبل أن يسمع النّاس باسمي..

والشّكر موصولٌ أخيرًا لنُخبة أبناء عائلتي الكُبرى (البحراني) على مُتابعتهم الدّائمة لأخباري داخل وخارج المملكة العربيّة السّعوديّة.

وأخيرًا ليس آخرًا .. قُرّائي الأعزّاء من المُحيط إلى الخليج.

§ المصادر:

(١) (نجيب محفوظ.. رسائله بين فلسفة الوجود ودراما الشخصيّة- جمع وتحقيق وتحليل: عيد عبد الحليم- الدّار المصريّة اللبنانيّة- الطبعة الأولى ٢٠٠٦م)

(٢) حوار مع هيرتا موليز – صحيفة أخبار الأدب- العدد ٨٤٨- الأحد ١١ أكتوبر ٢٠٠٩م- ترجمة نائل الطّوخي- عن راديو رومانيا انترناشيونال.

(٣) نزار قبّاني: الأعمال النّثريّة الكاملةج٧، طبعة أولى، منشورات نزار قبّاني ١٩٩٣م

(٤) نوبوأكي نوتوهارا: العرب وجهة نظر يابانيّة، طبعة أولى، منشورات الجمل ٢٠٠٦م

(٥) نزار قبّاني: لعبت بإتقان وهاهي مفاتيحي، الطّبعة الثّانية، منشورات نزار قبّاني ٢٠٠٠م.

(٦) حسن مدن: ترميم الذّاكرة، طبعة أولى، كتاب البحرين الثّقافيّة/المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر٢٠٠٨م.

(٧) أحلام مُستغانمي: ذاكرة الجسد، الطّبعة الحادية والعشرون، دار الآداب ٢٠٠٥م

(٨) أحمد خالد توفيق: الحلقات المنسيّة/سلسلة ما وراء الطّبيعة، طبعة أولى، المؤسسة العربيّة الحديثة للطّبع والنّشر والتّوزيع بالقاهرة.

obeikandl.com

(٩) لينين الرّملي: مسرحيّة أنت حُر، طبعة أولى، نهضة مصر٢٠٠٨م.

(١٠) إبراهيم الكوني: من أنت أيّها الملاك؟، طبعة أولى، كتاب دُبي الثّقافيّة/ دار الصّدى للصّحافة والنّشر والتّوزيع ٢٠٠٩م

(١١) فهد حسين: أمام القنديل.. حوارات في الكتابة الرّوائيّة، طبعة أولى، كتاب البحرين الثّقافيّة/ المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر٢٠٠٨م

(١٢) يا رب.. احفظ لنا نجيب محفوظ- مجلّة دُبي الثّقافيّة- العدد ١٦- سبتمبر ٢٠٠٦م

(١٣) علي أكبر بو شهري: التّاريخ القديم للبحرين ودول الخليج العربي، طبعة أولى، المكتبة الوطنيّة ١٩٨٧م

(١٤) نقلاً عن مُنتديات المُتّكأ الثّقافي.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com

obeikandl.com

المؤلفة في سطور

§ زينب علي محمّد البحراني .

§ من مواليد الخُبر/ المملكة العربيّة السّعوديّة، سُكّان مدينة الدّمام.

§ نالت نصوصها القصصيّة الأولى حظّ الفوز والتّنويه في مجموعة من المُسابقات القصصيّة الشّبابيّة.

§ لها نصوص قصصية منشورة على صفحات مجلة (أقلام جديدة) الأردنية، وأخرى في عدد من المجموعات القصصية المشتركة مع كتّاب آخرين حول الوطن العربي.

§ نُشرت لها مجموعة من الاستطلاعات والتغطيات الإعلاميّة الثّقافيّة والمقالات الأدبيّة على صفحات جريدة (الوطن البحرينيّة).

§ يُمكن التّواصل معها عبر موقع (فيس بوك) من خلال تجمّع (أصدقاء القاصّة/ زينب البحراني)

§ المؤلفات :

- فتاة البسكويت/ مجموعة قصصيّة ٢٠٠٨م
- مذكرات أديبة فاشلة : شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٠م
- كلام جريء في الحُب : (قيد النشر).
- رعاك الله أيّها المُغترب : (قيد النشر).
- فاشلة تحت الصّفر (الجزء التّالي لمُذكّرات أديبة فاشلة) : (قيد النشر).

§ البريد الإلكتروني: zainabahrani@gmail.com

obeikandl.com

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر،تأسست "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، وبين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات، تتمثل في:

- **إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ، وتلبية حاجاته من المعرفة.**
- **تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على إبرازها.**
- **الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.**
- **حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.**

obeikandi.com

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

obeikandl.com

obeikandl.com

(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065
www.shams-group.net